العلم الاغريقي

مقوماتــه ونقــله الى العربيــة

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

اللغــة اليونانيــة :

كانت اليونانية في الاصل لغة الاغريق الذين يسكنون شـبه الجزيرة اليونانية والجزر القريبة منها وفي عدد من المدن في الاطراف الغربية من آسيا الصغرى . وكان هؤلاء الاغريق منقسمين سياسياً الى عــدة دول صغرى ، لا يتجاوز حكم بعضها مدينــة وبعض الاراضي التي حولها ؛ وكان نشاطهم الثقافي في بداياته مقصوراً على الشعر وتناقل الاساطير ، ثم توسع هذا النشاط، وخاصة في اثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وظهر في القرن الرابع عدد من المفكرين والفلاسفة الذين دونت لهم كتب ، وابرزهم افلاطون وارسطو .

ثم قام الاسكندر المكدوني بتوسيع دولته التي بدأها بمكدونية وضم اليها كافة المدن والدويلات الاغريقية ، ثم مدها الى أواسط آسـيا شـرقاً ، وليبيا غرباً ، وقد حرص الاسكندر المكدوني وخلفاؤه الذين تقاسموا الحكم على دولته الواسعة ، على رعاية اللغة الاغريقية التي امتد استعمالها الى كافة البلاد التي حكموها ، فكانت لغة الجاليات الاغريقية التي استوطنت عــدداً كبيراً من المدن في ارجاء مختلفة من الدولة ، كما كانت اللغة السائدة في بلاطات الملوك والحكام الهللنستيين الذين خلفوا الاسـكندر في الحــكم ، وبتشجيع هؤلاء الحكام أصبحت اليونانية لغة الفكر وما الف فيه من الكتب ؛ ولكن

انتشارها كان أقل في المناطق الشرقية من آسيا الصغرى في المناطق الداخلية في سوريا ، وكذلك في العراق وبلدان المشرق حيث ظل غالبية السكان يتكلمون بلغاتهم الأصلية الموروثة ولم يتخلوا عنها .

وبتشجيع من حكام الدول الهللنستية التي تقاسمت حكم دولة الاسكندر بعد وفاته أصبحت اليونانية لغة الفكر والتأليف في تلك الحقبة ، فألف فيها علماء وكتاب من اصول مختلفة ، وكثير منهم من اهل البلاد ممن لا يجري في عروقهم الدم الاغريقي ، وظلت اللغة اليونانية لغة العلم والثقافة الرفيعة في زمن سيادة الرومان بجانب اللغة اللاتينية التي كانت اكثر الكتابات فيها في الآداب والقـانون .

أثر العلوم القديمة في العلم الاغريقي :

ولاريب في ان الاستقرار الذي حدث في البلاد التي شملها حكم الملوك الهللنستيين ، والعناية بالفكر ، يسر لكثير من العلماء والمؤلفين الاطلاع على الافكار والمعارف التي كانت قد تأصلت في هذه البلاد منذ أزمنة قديمة ، فأفاد منها هؤلاء المؤلفون ، وادخلوها في مؤلفاتهم ، ولكنهم صاغوها صياغة جديدة منسجمة مع السمات العامة التي تميزت بها كتاباتهم من حيث تنظيمها ووضعها بنظام منطقي ، وتقديم تبريرات عقلية ، وفي هذا يقول سارتون « من سذاجة الاطفال ان نفترض ان العلم بدأ في بلاد الاغريق ، فان المعجزة اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الاقاليـم ، والعلم اليوناني كان احياءً أكثر منه اختراعاً »[١] .

والواقع ان عدداً من المؤلفين العرب المعروفين باقتباسهم من اليونانيـة

---

(١) تاريخ العلم ١/٢٠ .

وعرضهم وجهات النظر الاغريقية وتقديرهم لها أشاروا الى عراقة المشارقة في العلوم وسبقهم الاغريق في الفكر .

فاما عن حداثة علم الاغريق فان ابا سليمان المنطقي يقول « وقيل ان اول ظهور الفلسفة كان في زمان بختنصر ، واول من ابتدأ فيها ونجم بها كان تاليس ، ولم يكن قبل ذلك في بلاد يونان شيء من العلوم البرهانية ، ليس عندهم الا علم اللغة وتأليف الاشعار والخطب والامثال والرسائل ، الى ان نجم تاليس بالفلسفة ، وكذلك الحساب والهندسة والمساحة أخذوها عن المصريين » .

ويقول ايضاً « وفي ملك دارا ابن اردشير عرف اليونانيون كتابتهم التي هي أربعة وعشرون حرفاً ، الا انه لم يكن لهم قبل ذلك الا ستة عشر حرفاً ، وهي التي كان اليونانيون يكتبون بها اولا ، وهذه تسمى حروف فونيقية » . ويقال ان اول من وضع الكتابة أهل مصر ومن بعدهم اهل فونيقية ، وهي التي جاء بها أولا هرمس الى ما هناك »(٢) .

وذكرت عدة كتب اقتباس الاغريق من علوم المشرق القديمة ، فذكر ابو سليمان المنطقي نقلا عن كتاب التاريخ لعلى بن يحيى النديم فيما يظهر « واما علم النجوم فان ابتداءه كان من بابل من جهة الكلدانيين ، وذلك قبل زمان ابراهيم (ص) وسببه انهم كانوا مقبلين على صناعتى الفلاحة والملاحة ، ولن يستغنى فيهما عن احكام النجوم ، واعانهم على ذلك صفاء الجو في بلادهم ؛ ولطافة طبائعهم ، وذكاء أذهانهم ، وخفة أرواحهم ، وقلة الأنداء والسحاب في بلادهم .

---

(٢) منتخب صوان الحكمة ١٠ (طبعة دنلوب) .

واما علم المساحة والهندسة فمن مصر ابتداؤه ؛ وسببه ان مد النيل كان يكسح مزارعهم في كل سنة ، فيحتاجون في قسمتها ومساحتها وتقدير حدودها للضرورة التي دعتهم الى ذلك تحرزاً من الغرق .

واما علم الحساب فان أول من فتقه أهل فونيقى ، وهم أهل حمص ومن يليهم ، لانهم كانوا تجاراً مسافرين محتاجين الى الحساب لأرباحهم وحفظ رؤوس اموالهم عليهم في شرائهم وبيعهم وخسراناتهم .

واما علم الطبائع فمن الشام منشأه ، وسببه ان الوباء في نواحيه كان يكثر ويعم ، فيضطرون الى الاستعانة بالقوى الطبيعية »(٣) .

ويقول المبشر بن فاتك ان « هرمس أول من استخرج علم النجوم » وأن « فيثاغورس تعلم من الكلدانيين والمصريين » (٤) .

وذكر أبو الحسن محمد بن يوسف العامري في كتابه « الآمد على الآبد « ان اول من وصف بالحكمة كان لقمان الحكيم .. وكان انباذقليس اليوناني يختلف اليه على ما حكى ، واخذ منه الحكمة » ؛ ويذكر ايضاً ان فيثاغورس « اختلف بمصر الى أصحاب سليمان بن داوود حين جلوا اليها عن الشام ، وقد كان تعلّم الهندسة قبلهم من المصريين ، فتعلم ايضاً العلوم الطبيعية والالاهية من اصحاب سليمان ، ونقل العلوم الثلاثة : اعنى علم الهندسة وعلم الطبائع والعلم الالهي الى بلاد اليونان ، ثم استخرج بذكائه علم الالحان واوقعها تحت النسب والاعداد » . ويقول أيضاً ان سقراط كان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس (٥) .

(٣) منتخب صوان الحكمة ١٢ ــ ١٣ ؛ القفطي : أخبار الحكماء ٣٣ .
(٤) مختار الحكم ٨ ، ٥٤ ، ٥٧ .
(٥) نقله منتخب صوان الحكمة ٥ .

ويقول صاعد «وكان من الكلدانيين علماء من أجلّ الناس فضلا وحكماً، متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والالهية ، وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب، وتحقق بعلم اسرار الفلك،ومعرفةمشهورة بطبائع النجوم واحكامها ، وخواص المولدات وقواها . وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بانواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها ، فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السر .

واشهر علمائهم عندنا وأجلهم هو هرمس البابلي وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني ، وذكر عنه ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف انه هو الذي صحح كثيراً من كتب الاوائل في علم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد ، وانه صنف كتباً كثيرة في علوم شتى .

قال ابو معشر : والهرامسة جماعة شتى منهم الهرمس الذي كان قبل الطوفان الذي يزعم العبرانيون انه خنوخ النبي ، وهو ادريس عليه السلام ، وكان بعد الطوفان منهم عدة ذوو معرفة وتمييز ، وكان المقدم منهم اثنان احدهما البابلي الذي ذكرنا ، والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكان مصر .

قال صاعد : وقد وصل الينا من مذاهب هرمس البابلي ما دل على تقدمه في العلم : من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ، ومذهبه في تسوية بيوت الفلك ، ومن ذلك كتبه في احكام النجوم مثل كتاب الطول ، وكتاب

العرض ، وكتاب قضيب الذهب .

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب أسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم .

ومنهم واليس صاحب كتاب الصور ، وكتاب اليرندج المؤلف في المواليد وتحاويلها ، والمدخل في ذلك ، وكان ملكاً .

ومنهم اصطفن البابلي له كتاب جليل في احكام النجوم ، وكان عند شعيب النبي عليه السلام .

ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ، ولا جملة ولا عندنا من آدابهم في ذلك ، ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطليموس اليوناني القلوذى في كتاب المجسطى فانه اضطر اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة ، اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين في ذلك ارصاداً يثق بها » (٧) .

وذكر صاعد عن مصر « وكان لقدماء اهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بانواع العلوم وبحث غوامض الحكم .. وذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ .. وهو ادريس النبي عليه السلام ، وقالوا انه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية ، واول من بنى الهياكل ومجّد الله تعالى فيها ، واول من نظر في علم الطب ، وألّف لأهل زمانه قصائد موزونة في الاشياء الأرضية والسماوية »

(٧) طبقات الامم ١٨ ــ ١٩ .

قال صاعد وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضية والطبيعية والالهية ، وخاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والمرائي المحرقة والكيمياء وغير ذلك .

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني .. وله كتاب جليل في صناعة الكيمياء ، وكتاب في الحيوانات ذوات السموم .

.. ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني .. وله كتاب جليل في صناعة الاربع في طبيعة العدد وخواصه .

ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم بيون الاسكندراني صاحب كتاب الافلاك ، فذكر فيه هيئة الافلاك وعددها وكمية حركات الكواكب ذكراً مرسلاً مجرداً من البرهان على ما ذهب اليه بطليموس في كتاب المجسطي ؛ واما كتاب القانون فانه اختصر فيه تعديل الكواكب وصور تقويمها على رأي بطليموس وزاد فيه حساب حركات اقبال الفلك وادباره على رأي اصحاب الطلسمات .

ومن علمائهم ورؤوسهم صاحب الكتب الجليلة في صناعة الكيمياء .

ومنهم الاسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس الحكيم وألفوها على المسألة والجواب .. وكان رئيسهم انقيلاوس .

ومن علمائهم باحكام النجوم واليس صاحب الكتاب المعروف بالبرندج الرومي المؤلف في المواليد وما يتقدمها من المدخل الى علم احكام النجوم ، وذكر عنه الأندوز (!) في كتابه المؤلف في المواليد ان كتبه العشرة في المواليد

جامعة لقوة سائر الكتب ، وان اليس قال ان كل علم يزعمون انه ليس في كتبه فلا اصدق أنه كان ويكون .

ولا اعلم لاحد ممن ذكرت من علماء الاسكندرية زماناً محدداً ولا خبراً مستقصى ولا وصل الينا من حكمتهم الا القليل النزر ، بالاضافة الى ما تشهد به آثارهم بصعيد مصر ومصانعهم الجليلة في سائر نواحيها من عجائب البرابى وغرائبها الدالة على سعة علمهم والمثبتة على تفاسة اخطارهم » [٨] ؛ وواضح من كلام صاعد انه ادخل في كلامه عدداً من علماء مصر الذين اسهموا في الفكر الاغريقي في عز ازدهاره ، وكانت كتابتهم باليونانية .

سيادة اللغة الاغريقية في كتابة العلم :

وورد في المصادر العربية ما يشير الى ان مجيء الاسكندر المكدوني الى الشرق كان حدثاً حاسماً في تطور الحركة الفكرية ؛ فذكر ابو سهل بن نوبخت في كتاب النهمطان ان الشرق ، وخاصة بابل ، كانت العلوم فيه مزدهرة والكتب عنها كثيرة ، بما في ذلك التنجيم والأدوية ، وظل ذلك حتى مجيء الاسكندر وقضائه على دولة الاخامينيين واهلاكه ما كان من صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً مكتوباً في صخور ذلك وخشبه بهدم كل ذلك واحراقه وتفريق مؤتلفه ونسخ ما كان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن بمدينة اصطخر ، وقلبه الى اللسان الرومي والقبطي ، ثم احرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها ما كان مكتوباً بالفارسية ، وكتاب يقال له الكشتج ، واخذ ما كان يحتاج اليه من علم النجوم والطب والطبائع ، فبعث بتلك الكتب وسائر ما

---

(٨) طبقات الأمم ٤٠ — ٤١ .

أصاب من العلوم والاموال والخزائن والعلماء الى بلاد مصر .. فدرس عند ذلك العلم بالعراق وتمزق ، واختلفت العلماء وقلت ، وصار النـــاس اصحاب عصبية وفرقة [٩] .

ويقول المبشر بن فاتك ان « الاسكندر أحرق كتب دين المجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، ونقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها » [١٠] .

تظهر هذه النصوص ان العلماء في عهـــد ازدهار الفكر العربي كانـــوا يعرفون ان اليونانيين لم يكونوا اول المبدعين للعلوم ، وانما سبقهم الى ذلك أهل العراق وأهل مصر ؛ واذا كانت التفاصيل التي ذكروها موضع شك يجعلها اقرب الى الاساطير ، فانها مستندة الى حقائق بدأت المكتشفات والدراسات توضح بعض جوانبها وتظهر المعلومات والاخطار التي أبدعها ودوّنها اهل العراق ومصر قبل قرون عديدة سبقت ازدهار التأليف باللغة اليونانية [١١] .

وعندما تقدم الرومان وضـــموا الى دولتهم الاقاليم التي حول البحـــر المتوسط ، بما فيها مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى حيث كانت اللغة اليونانية وثقافتها سائدة ، أولوا اللغة اليونانية تقديراً ، فظلت لغة الثقافة والفكر حتى

---

(٩) الفهرست ٣٠١ ــ ٤ .   (١٠) مختار الحكم ٢٣٣ .

(١١) أخذت تتزايد الكتب الباحثة عن العلوم في بلاد وادي الرافدين وفي مصر في العهود القديمة ، انظر مثلا ، تاريخ العلم ، لســـارتون . وكتـــاب اوبنهايم : بلاد مابين النهرين في القـــديم . وكتـــاب « تراث مصـــر » والمصادر التي كتبوها لابحاثهم .

عند الرومان انفسهم [١٢] ، والحق ان كثيراً من المؤلفات التي كتبت بالاغريقية انما الفت في زمن سيادة الدولة الرومانية ، غير ان الرومان ركزوا عنايتهم بالحكمة والاداب ، والفقه والقانون والادارة ، والعلوم التطبيقية دون النظرية ، فبدأ منذ القرن الثاني الميلادي تدهور في الحركة الفكرية ، واخذ يتناقص عدد المؤلفات بالاغريقية .

تدهور التأليف العلمي بالاغريقية :

ولا بد ان الثقافة الاغريقية تقلصت ، واللغة الاغريقية انكمشت في العراق والاقاليم الشرقية على اثر استيلاء الفرثيين على تلك البلاد في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد ، وازداد ضمورها واتطماسها في تلك الاقاليم بعد استيلاء الساسانيين على الحكم فيها في اواسط القرن الثالث بعد الميلاد ، اذ انهم ناصبوا الدول الاغريقية والرومانية العداء ، واتخذوا البهلوية لغة رسمية في بلاطهم ، ولم يرد ذكر للمستعمرات الاغريقية القديمة التي كانت تقيم في تلك البلاد وان عدم وجود اشارة الى اخراجهم من البلاد يدل على ضمورهم وجمودهم وربما رافق ذلك تناقص استعمالهم اللغة الاغريقية ونسيانهم اياها .

وعندما سيطرت المسيحية واصبحت العقيدة الرسمية للدولة البيزنطية ، تركز اهتمام النصارى على العقائد المسيحية ، واخذ الاباطرة يضطهدون الثقافة اليونانية[١٣] ، وكان أجلى مظهر لذلك غلق جستنيان مدرسة اثينا وتشتيت اساتذتها ؛ وفي هذا يقول المسعودي « ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم ، تعظم العلماء وتشرف الحكماء ، وكانت

(١٢) انظر في ذلك كتاب « تراث اليونان » ص ٢٨٨ الطبعة الجديدة (بالانكليزية) .

(١٣) تراث اليونان ٤٤٣ .

لهم الاراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة ، اعني الارثماطيقي وهو علم الاعداد ، والجومطريقي وهو علم المساحة والهندسة ، والاسترونوميا وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحون • ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الافكار ، قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم ، فعفوا معالم الحكمة وازالوا رسمها ومحو سبلها ، وطمسوا ماكانت اليونانية ابانته ، وغيروا ماكانت القدماء منهم اوضحته »[١٤] ، والواقع ان الفترة بين ٦١٠ ــ ٧١٧ م كانت من أحلك الفترات في تاريخ الفكر البيزنطي ، حيث شحت فيها المؤلفات وضعف الاسهام الفكري •

المؤلفات باليونانية لم تكن حكراً للاغريق :

ذكرنا ان استعمال اللغة اليونانية بدأ ينتشر خارج بلاد اليونان منذ زمن الاسكندر المكدوني (ت ٣٢٣ ق م) وانها اصبحت في زمن خلفائه اللغة العالمية للعلم ، وقد تم كثير من ذلك بفضل التشجيع والمساعدات التي كان يبذلها الملوك والحكام المعجبين بالثقافة الهللنستية ، اذ كانوا يتباهون برعاية الثقافة فيها ، ويتنافسون في جلب العلماء ليمكنوهم من تأليف الكتب التي كان أغلبها يحفظ في مكتبات الملوك والحكام •

وقد اسهم في تأليف هذه الكتب عدد كبير من المؤلفين والعلماء الذين عنوا بتدوين المعلومات والافكار ، ولم يعنوا بابراز اصولها او اصولهم العرقية ، واكتفوا بذكر اسمائهم ، واشاروا احياناً الى المدن التي ينتسبون اليها ، والى بعض الاحوال المحلية ، ولكنهم لم يبرزوا في كتاباتهم المظاهر

(١٤) مروج الذهب ١/٣٥٤ .

الاقليمية أو المحلية أو القومية ، مما أدى الى ان يعتبرها كثير من الناس اغريقية .

ان كتابة المؤلفات في العهود الهللنستية باللغة اليونانية ، وابرازها العمومية القائمة على اساس العقلانية ، ورعاية الحكام اليونانيين لها ، وقلة حرص المؤلفين على ابراز المشاعر الاقليمية والقومية ، ادت كلها الى ان تعتبر هذه المؤلفات « اغريقية » ، وان تنسب الى الاغريق وتكوّن دليلاً على عبقريتهم واسهاماتهم ؛ اي انهم اتخذوا « اللغة » معياراً للتمييز الثقافي ، علماً بان هذا المعيار لم يطبق كثيراً عند دراسة الانتاج الثقافي المكتوب باللغة العربية ابان ازدهار الفكر في العهود الاسلامية ، حيث اهتم معظم الكتاب بابراز الاصول العرقية لمن الف بالعربية ، او بنسبة التيارات الفكرية التي تظهر في هذه الكتب الى العوامل العرقية ، وكذلك بالبحث عن بعض الجزئيات المتفردة المستمدة من اصول محلية دون مراعاة أهمية صياغتها وتقييم مكانها من الصورة العامة للفكر .

وقد ذكرت بعض المصادر اصول ونسبة عدد كبير من مشاهير من كتب باليونانية من العلماء الذين عاشوا ابان ازدهار الكتابة بها في زمن الهللنستيين وبعدهم ، واشار الى ذلك الاستاذ سارتون في كتابه « تاريخ العلم » ، ويتبين مما ذكره العدد الكبير منهم الذي كان اصله من مدن في العراق وبلاد الشام ومصر (١٥) .

المبالغة في الازدهار الكمي لكتب العلوم الاغريقية :

ظلت اليونانية اللغة العالمية التي تكتب فيها الكتب حتى القرن الخامس

(١٥) انظر : تاريخ العلم لسارتون ٢٢/١ ــ ٢٣ .

الميلادي على الأقل ، اي ما يزيد على ثمانية قرون ، وهي مدة طويلة نسبياً ، واذا اخذ بنظر الاعتبار معها الرقعة الواسعة من البلاد التي كان فيها التأليف يتم باللغة اليونانية ، فان عدد المؤلفين لم يكن كبيراً ، كما ان عدد الكتب كان محدوداً نسبياً •

ان الكتب المكتوبة باللغة اليونانية التي وصلت الينا باصولها أو بترجماتها العربية متباينة في حجومها ، فبعضها كبير وصفحاته كثيرة ، وبعضها صغير لا يتجاوز بضع صفحات ؛ واسماؤها منوعة ، فبعضها يسمى « كتاب » ، وبعضها « مقالة » أو « رسالة » ؛ ولا يمكن وضع قاعدة دقيقة لتثبيت حجم كل منها ، فقد يكون الكتاب صغيراً ، والرسالة كبيرة ، ويمكن القول عموماً بان « المقالة » أو « الرسالة » تعنى بموضوع محدد ، والغالب انها صغيرة الحجم ، اما الكتاب فالغالب انه اوسع نطاقاً واكثر تبسطاً ، وقد يتناول عدة مواضيع ، أو عدة جوانب ؛ علماً بأن معظم المؤلفات عناوينها بسيطة واضحة ، تدل على محتواها ، وقد تعنون بمن ارسلت له دون الاشارة الى محتواها مثل « رسالة الى الاسكندر » ، « كتاب الى اغلوقن » •

والكتب التي ألفها الاغريق بالرغم من أهميتها ومكانتها والفائدة العلمية لكثير منها في الحياة ، ككتب الطب والصيدلة والادوية والهندسة ، فان عدد النسخ من كل كتاب كان قليلاً جداً ، وكثير منها فقد ولم يعد له وجود • والواقع ان العرب عندما ازداد اهتمامهم في صدر العصر العباسي بالمعارف الاغريقية وكتبها ، لم يجدوا نسخاً منها في ارجاء دولتهم التي كان كثير من بلادها ضمن ميدان الثقافة الاغريقية ، مما حملهم على ارسال بعثات الى الدولة البيزنطية للحصول على نسخ من هذه الكتب ، وبذلوا بسخاء لتحقيق هذا الغرض ، ومع كل جهودهم لم يحصلوا الا على نسخ قليلة من بعضها ، وليس

كل الكتب المكتوبة باليونانية؛ كما ان الاوربيين عندما اندفعوا في عصر النهضة الى العناية بجمع الفكر الاغريقي ، لم يجدوا من ذلك الا نسخاً قليلة من بعض هذه الكتب ، واعتمدوا على ما جمعه العرب وترجموه منها للتعويض عن النسخ الاصلية التي فقدت الى الأبد .

عوامل انكماش استعمال اللغة اليونانية وتطوره :

ذكرنا ان اوج الازدهار في استعمال اللغة اليونانية كان في زمن الحكام الهللنستيين، ثم تلا ذلك انحسار تدريجي لمكانتها وامتداد استعمالها، وهذا يرجع الى عدة عوامل منها تناقص عدد الاغريق المقيمين في ارجاء البلاد ورجوعهم الى بلادهم ، ومنها زوال الحكام الذين كانوا يحرصون على اللغة اليونانية ويعنون بنشرها بين الناس وباستعمالها في التأليف ، ومنها التدهور العام الذي حدث في الحركة الفكرية بسبب عوامل متعددة . وعند البحث في تطور انحسار اللغة الاغريقية يجدر ان نقسم البحث الى شقين : اولهما الانحسار في العراق والمشرق ، والثاني الانحسار في بلاد الشام والمغرب .

فاما العراق وبلاد المشرق فان اللغة الاغريقية فيها رغم دورها في تسجيل الانتاج الفكري ، كانت قائمة على الحكام الاغريق والجاليات الاغريقية التي استوطنت في اماكن محدودة وسط اقاليم كان سكانها يتكلمون لغات لا تتصل بالاغريقية ، وان اعجاب هؤلاء السكان بمظاهر الحضارة الاغريقية الذي يتجلى في أخذهم بعض سمات تلك الحضارة ، كأسمائها وأزيائها وطرز البناء فيها ، لم يصل الى حد تجردهم من اصول حضاراتهم القديمة [١٦] ؛ وهكذا

(١٦) أوسع دراسة عن حضارة الشرق ابان تلك الفترة هي كتاب روستوفزيف «التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعالم الهللنستي » ؛ وانظر أيضاً المجلد الثالث من كتاب « تاريخ كمبردج عن ايران » .

ظل اكثر السكان الاصليين ، وخاصة في الارياف والمناطق البعيدة عن مستوطنات الاغريق وبلاطات ملوكهم ، محتفظين بلغاتهم القديمة وبكثير من اساليب حياتهم وطرز معيشتهم ؛ وبذلك كانت الاكثرية العظمى من السكان تختلف عن الحكام والمستوطنين الاغريق . فلما تضعضع سلطان الحكام الاغريق وضعفت هيمنتهم ، حل محلهم في الحكم حكام من أهل البلاد لم يكن لهم نفس الاعجاب بالحضارة الاغريقية ، وانما كانوا يعتزون بلغاتهم واساليب حياتهم ؛ وبذلك فقدت اللغة الاغريقية حماتها الاقوياء المتعصبين لها ، وتناقص عدد الحريصين على تعلمها .

ثم ان اللغة اليونانية كانت سائدة في ميادين الاداب والعلوم ، ولم تمتد الى ميادين العقيدة والدين ، فديانات الحكام والمستوطنين الاغريق والرومان كانت « وثنية » متناثرة ، وليست سماوية ، ولم يكن فيها كتاب مقدس تلزم قراءته في العبادات ، فلما انحسرت الحكومات التي تحميها لم تبق أداة لحفظها، وتشتت أنصارها لان الحكام لم يحاولوا جعل الدين يجمع الناس ويربطهم ، وانما اقاموا رابطتهم على اساس المصلحة المادية ، فلما ضعف تحقيق هذه المصلحة انفرط الناس ؛ وحلت محلهم دول ومجتمعات تعنى بالدين وكتبه المقدسة عندهم ؛ ففي المشرق تبنى الساسانيون الديانة الزرادشتية ، وثبتوا كتابها المقدس « الافستا » باللغة الفهلوية التي استعملها رجال دينهم من الموابذة والهرابذة ، وربما في بيوت عباداتهم (١٧) . اما اليهود فظلوا متمسكين بلغتهم العبرية يستعملونها في مؤلفاتهم الدينية وعباداتهم ؛ واما النصارى فمع انهم استعملوا في البداية « الاغريقية » كما يتجلى ذلك من الترجمة المبكرة للانجيل الى اليونانية ، الا انهم عدلوا عن ذلك كما يتضح من ترجمتهم له الى

(١٧) انظر في ذلك « ايران في عهد الساسانيين » لكرستنسن .

السريانية في اواسط القرن الرابع الميلادي • ولابد ان بعض اسباب ذلك ترجع الى ان اللغة الاغريقية كانت تعرقل فهمه من النصارى الذين كان أكثرهم من « العامة » و « الجماهير » من اهل البلاد ولا يعرفون الاغريقية •

اما الجاليات اليونانية التي كانت تقيم في المستعمرات التي أقامها السلوقيون ، أو الذين كانوا يقيمون في العاصمة « سلوقية » فالراجح ان معظمهم انسحب بعد ضعف الدولة السلوقية التي كانوا فيها مأجورين وارتباطهم بالحكام قائم على المصلحة المادية وليس على أي أساس عائلي أو عقائدي • والراجح ان القليلين الذين بقوا اندمجوا بالسكان الأصليين ، فاستعملوا لغة هؤلاء السكان بجانب لغتهم أو محلها •

ولابد ان عدداً من الناطقين بالاغريقية كانوا يقدمون الى العراق والاقاليم الشرقية ، ومنهم التجار وأصحاب الاعمال ، وكذلك بعض الاسرى الذين اشهر ما نعرفه منها ما حدث في زمن سابور، غير انه لا يوجد ما يدل على مراكز لتعليم اليونانية في العراق ، ويجدر ان نشير الى ان ابن أبي اصيبعه يذكر ان حنين بن اسحاق « هو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني »(١٨) وانه « تعلم لسان اليونانيين بالاسكندرية »(١٩) • أما البيهقي فيقول ان حنين « نشأ بالشام وتعلم فيها »(٢٠) ، وعلى أي حال فانه لم يذكر أحد انه تعلم اليونانية في العراق •

ولابد أن اسرى الروم الذين نقلوا الى العراق كان كثير منهم يعرف اليونانية ومن أقدمهم من نقله سابور الاول عندما اسر فاليريان واجبره على اقامة سد تستر وأخذ جماعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور(٢١) ، كما قام

(١٨) ابن أبي اصيبعة ٢٥٩ .
(١٩) ابن ابي اصيبعة ٢٦٢ .
(٢٠) تاريخ حكماء الاسلام ١٦ .
(٢١) الطبري ٨٢٧/١ — ٨ .

سابور الثاني بغزو الروم « واسكن من سبى مدينة بناها بناحية السوس وسماها ايرانشهر سابور »[٢٢] • وفتح انوشروان انطاكية « ثم أمر أن تصور له مدينة انطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها وجميع ما فيها ، وأمر أن يبنى له على صورتها مدينة الى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة انطاكية ثم حمل أهل انطاكية حتى أسكنهم اياها »[٢٣] • ولا نعلم مصير هؤلاء الموطّنين الاسرى ، ولكن الراجح ان كثيراً منهم كانت لغته وثقافته اغريقية ، غير انه لا يوجد ما يدل على انه كان لهم أثر في اعادة مكانة الاغريقية وثقافتها في بلاد المشرق •

لا تتوفر تفاصيل عن تطور انحسار اللغة اليونانية وثقافتها من العراق وأقاليم المشرق قبل الاسلام ؛ ولكن لابد ان هذا الانحسار حدث تدريجياً ، فكانت مظاهر بقائه واضحة في العهود الاولى ، وهي تتجلى في تلقيب الملك الفرثي مثرداتس الاول (١٧١ ــ ١٣٨ ق٠م) نفسه « محب الهللينيين » Philohellen كما ان ملوك ميسان الذين حكموا في جنوب العراق ثلاثة قرون الى ان أزال دولتهم اردشير في أواسط القرن الثالث الميلادي ، كانوا يكتبون على نقودهم بالاغريقية • ومن المعروف انه عندما أغلق جستنيان أكاديمية أثينا في سنة ٥٢٩ ، استقبل انوشروان فلاسفة الاكاديمية بالترحاب ثم طلب من جستنيان العفو عنهم ، فعادوا بعد أن أظهروا عدم استساغتهم الافكار التي كانت سائدة في بلاط انوشروان •

استعمال اللغة اليونانية في أقاليم الدولة الاسلامية :

أما الشام وأقاليم المغرب فان لها فيما يتعلق باللغة الاغريقية وضعاً مختلفاً ، اذ أن هذه الاقاليم وان كانت تشبه أقاليم المشرق حيث ان سكانها

---

(٢٢) الطبري ١/٨٤٥ .

(٢٣) الطبري ١/٨٩٨ .

الاصليين يختلفون عن الاغريق في اصولهم وارومتهم ونظم الحضارة والتقاليد والفكر ، الا ان موقع هذه الاقاليم على أطراف البحر المتوسط يسّر لها تكوين ارتباطات هي أقوى وأوسع من ارتباطات أقاليم المشرق • فالعلاقات التجارية وما يتصل بها مع بلاد الاغريق كانت قديمة واستمرت حتى بعد سقوط روما •

ثم ان هذه الاقاليم أصبحت بعد سقوط الدولة الهللنستية تابعة للدولة الرومانية التي أولت اللغة اليونانية اهتماماً وتقديراً كبيرين واستعملتها أداة للتعبير في الثقافة والمؤلفات العلمية • وعندما سقطت روما بيد الجرمان ظلت هذه الاقاليم التي في شرقي البحر المتوسط وجنوبيه تابعة لدولة بيزنطة التي تابعت سياسة دولة روما في تبنى اللغة الاغريقية أداة للانتاج الفكري عموماً ، فكانت اليونانية اللغة المستعملة ابان القرن الخامس الميلادي في المدارس المتعددة في نيقوميديا ، وانقره وقيسارية ، وانطاكية ، وافاميا ، والاسكندرية التي كانت أكبر مركز دراسي في الاقاليم الجنوبية(٢٤) ؛ فاللغة الاغريقية ظلت محتفظة بمكانتها في الدراسات والمؤلفات ، وكان الادب في بيزنطة هو أدب يوناني(٢٥) •

وعندما دخل المسلمون بلاد الشام ومصر وضموها الى دولتهم كانت اليونانية هي اللغة التي تدون فيها وثائق الدولة ونقوش النقود وسجلات دواوين الجباية والمالية ، واستمر الامر على ذلك الى ان تم تعريب الدواوين حوالي سنة ٧٥ هـ في عهد خلافة عبدالملك بن مروان(٢٦) • ويتبين من أوراق

(٢٤) انظر في ذلك : نورمان بينز « الامبراطورية البيزنطية » ٢١٠٨ (الترجمة العربية) .
(٢٥) نورمان بينز ٢١٢ — ٢١٣ .
(٢٦) الجهشياري ٢٤ ، ٣١ ، أدب الكاتب للصولي ٤٠ .

البردي المكتشفة في مصر انها كانت تشمل عدداً من الاوامر الصادرة من الولاة الى المسؤولين عن الادارة المالية والجباية يعينون فيها مقدار الجبايات وطريقة جبايتها وبعض الاوامر المتعلقة بها ؛ والراجح ان مثل هذه الامور كانت تكتب في دواوين بلاد الشام ، وان كتاب الدواوين الذين استعملوا هذه اللغة وكانوا يعرفونها لم يكونوا من أرومة رومية ، وانما كانوا من أهل البلاد ممن لغتهم الاصلية هي القبطية في مصر ، والعربية في بلاد الشام ؛ ويروى الجهشياري ان الذي قام بتعريب الدواوين في بلاد الشام سليمان بن سعيد الخشني ، الذي ظل في عمله في الدواوين الى زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز(٢٧) ؛ وواضح من اسمه انه عربي ، كما ان كنيته « الخشني » تظهر انتسابه الى بني خشن ، وهي احدى العشائر العربية التي كانت من قبل الاسلام تقيم في الاطراف الجنوبية من بلاد الشام ؛ ولابد ان الخشني كان واحداً من عدد غير قليل كانوا يعملون في الدواوين وهم من العرب ، وان معرفتهم الاغريقية جاءت عن طريق تعلمهم لها ، غير ان معرفتهم بها كانت لاغراض محدودة من أعمال الدواوين ؛ ومع انه ليست لدينا معلومات عن ثقافتهم العامة ، الا ان عدم اسهامهم في حركة النقل والترجمة ، وعدم اشارة المصادر الى بروز مسهمين منهم في العلوم يدل على انهم كانوا بعيدين عن الاهتمام بالعلوم .

ثم ان اللغة اليونانية في هذه الاقاليم اقترنت بالكنيسة المسيحية منذ أوائل ظهورها ، فالترجمة السبعينية المشهورة للعهد القديم الى اليونانية انجزت في الاسكندرية قبل أكثر من قرنين من ولادة المسيح ، كما ان الاناجيل المكتوبة بالاغريقية عم استعمالها قبل انصرام القرن الاول للميلاد ؛ ولابد ان ذلك رافقه استعمال الاغريقية في الكنائس المسيحية في تلك الاقاليم ؛

(٢٧) الوزراء والكتاب ٣٨ ، ٤٧ ، ١٥٣ .

وعندما حدثت الانشقاقات المذهبية بين النصارى في بلاد الشام واعتنق أكثر أهل الجزيرة الى النسطورية ، وأكثر العرب وأهل الاطراف الغربية من الشام اليعقوبية ، ظل معظم النصارى في بلاد الشام ومصر يتبعون الكنيسة التي تتبعها بيزنطة وملوكها ، وكانت هذه الكنيسة تسمى الملكانية ، وفي هذا يقول الخوارزمي في كلامه عن فرق النصارى « أولهم الملكانية .. وهم أقدمهم ، وأهل الروم كلهم ملكانية »[٢٨] . ويقول البيروني ان « الملكانية وهم الروم ، وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم ، وليس بالروم سواهم »[٢٩] ؛ ويقول المسعودي ان الملكية « هم عمد النصرانية وقطبها ، لان المشارقة عن هؤلاء تفرعوا ، ومنهم تبددوا »[٣٠] .

لاريب في أن صلة الملكانية بحكام الدولة البيزنطية كان مصدراً لاثارة شكوك الساسانيين فيهم والى عدم انتشار مذهبهم في العراق ، غير ان هذا لا يعني انعدام وجودهم . فليس من المستبعد ان يكون معظم اسرى الروم الذين أوطنهم الساسانيون في بعض مدن الاحواز وفي رومية المدائن كانوا من الملكانية .

ويذكر المسعودي ان الاطوار الاربعة : سينا ، وزيتا ، وهارون ، والاردن « جميعها للملكية من النصارى » وان ديارات طور زيتا وايليا ظلت عامرة الى أن أخربته جنود الفرس حين غلبت على الشام ومصر وسبت من كان في تلك الديارات وغيرها قبل ظهور الاسلام ، وذلك في ملك كسرى ابرويز[٣١] ولا يبعد ان كثيراً من هذا السبي نقل الى العراق .

---

(٢٨) مفاتيح العلوم ٢٢ . (٢٩) الاثار الباقية ٢٨٨ .
(٣٠) مروج الذهب ١/١١١ ؛ التنبيه والاشراف ١٢٦ ، ١٣٦ .
(٣١) التنبيه والاشراف ١٢٣ .

وعندما توسعت دولة الاسلام وضمت أقاليم الشرق الاوسط لم تضطهد الملكانية ، وانما تركت لهم الحرية الواسعة في ممارسة عباداتهم وكنائسهم ، ولعلها استهدفت من ذلك الافادة منهم في ضبط البيزنطيين ومنعهم من التعسف في معاملة المسلمين .

لا تتوفر معلومات عن تطور امتداد الملكانية الى العراق بعد تكوين الدولة الاسلامية ، وكان في الكوفة دار الروميين بنى قربه خالد بن عبدالله القسري كنيسة وكانت امه نصرانية ، ولعلها ملكانية[٣١أ] وعندما اسست بغداد في زمن أبي جعفر ، كان من معالم خططها على نهر عيسى « الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية »[٣٢] ويذكر اليعقوبي أن ربض حميد بن قحطبة على الصراة العليا ، يتصل ذلك بقطيعة الفراشين ، وتعرف بدار الروميين وتشرع على نهر كرخايا .. وبازاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين دار كعبويه البستانبان الذي غرس النخل ببغداد »[٣٣] .

ان اقتران الروميين بالفراشين في نص اليعقوبي قد يدل على ان هؤلاء الروميين كانوا يستخدمون للخدمة في قصر الخليفة . والواقع ان قصر الخليفة لم يكن خلوا من الجواري الروميات ، ومن أشهرهم هيلانة حظية الرشيد وصاحبة الحوض المسمى باسمها في الجانب الغربي ، وقد أشار الجاحظ الى ان النصارى كان منهم « فراشي الملوك »[٣٤] .

وقد ذكر ابن النديم « دار الروم في الجانب الغربي »[٣٥] ، وان ممن كان يسكنها فثيون النصراني . وذكر عمرو بن متى ان يوانيس فطرك زمن

(٣١أ) انظر البري ٢٥٦/٢ ، ٢٥٧ ، ٦٣٠ انساب الاشراف ٢٢٨/٥ وعن الكنيسة انظر فتوح البلدان ٢٨٦ ياقوت ٧٦٩/١ أغاني ٢٥٩/١٩ .

(٣٢) تاريخ بغداد للخطيب ١١١/١ ، سهراب ١٢٣ .

(٣٣) البلدان ٢٤٤ .

(٣٤) الرد على النصارى للجاحظ ١٧ .

(٣٥) الفهرست ٢٢٠ .

المعتضد « أقام ببغداد بدار الروم وانه دفن بدار الروم ببيت السيدة »[٣٦]، وقد تكون هذه دار الروم التي تقع في أعلى الجانب الشرقي في الشماسية حيث استوطنها الاسرى الذين جلبهم الرشيد من صمالو[٣٧] .

يذكر البيروني ان « مقام جاثليق الملكانية من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريق انطاكية ، أما جاثليق النسطورية فيكون من عند الخليفة أمير المؤمنين على رضى من جمهورهم »[٣٨] ، وذكر ماري بن سليمان ان ابراهيم الجاثليق منع رئيس الملكية من التسمي بالقثلقة من ان يسيم اسقفاً ، غير ان الوزير علي بن عيسى الغى هذا العمل[٣٩] .

ان صلة الملكانيين بالروم ترجح معرفتهم بالاغريقية ، وتواجدهم ببغداد يشير الى تواجد الاغريقية فيها ، ولعل عدداً من النقلة والمترجمين ببغداد في العصر العباسي ، كانوا من الملكانيين المتقنين للغة الاغريقية .

ندرة الكتب المؤلفة باليونانية في أقاليم العالم الاسلامي :

ذكرنا ان اللغة اليونانية ظلت تستعمل في أقاليم الدولة البيزنطية أداة لكتابة الانتاج الفكري ، غير ان ذلك لم يرافقه استمرار ازدهار دراسة العلوم التي أصابها تدني متتابع ، وفي هذا فان سارتون في كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » الذي مايزال أوسع ما كتب عن تطور التأليف من العلوم في العصور القديمة والوسطى ، يقول في وصفه تطور التأليف « ان النصف الثاني من

(٣٦) أخبار فطارقة المشرق ٨٠ ــ ٨١ .
(٣٧) انظر : بغداد في عهد الخلافة العباسية ليسترانج ١٧٥ ــ ١٧٦ .
(٣٩) أخبار فطارقة المشرق ٩٢ ــ ٣ ؛ وانظر عن الملكانية مقال جون فابى « الروم في شرق الفرات » المنشور في مجلة Moseom م ٩٠ سنة ١٩٧٧ ومقال نصرالله « الكنيسة الملكانية في العراق وايران وآسيا الوسطى » المنشور في مجلة الشرق الادنى النصراني، م ١٩٧٥/٢٥ ص ١٣٥ ــ ١٧٣ م ١٩٧٦/٢٦ ص ١٦ ــ ٣٣ (والمقالين بالفرنسية) .

القرن الثاني الميلادي كان فيه نشاط كبير في الانتاج ، ولكن أيـام العـز انتهت »[٤٠] ، وان النصف الثاني من القرن الخامس « تدنى النشاط وعم الاهتمام بالافلاطونية المحدثة »[٤١] ، ويقول ان النصف الثاني من القـرن السادس كان « أحلك العصور المظلمة »[٤٢] وان النصف الثاني من القرن السادس كان « فترة تقهقر »[٤٣] . أما النصف الاول من القرن السابع فانه كان « فترة ارهاق »[٤٤] . ويقول مايرهوف « فاذا قرأنا كتاب بومشترك عن تاريخ الادب السرياني وجدنا انه لم يكن في الشرق الادنى في العصر السابق على الاسلام علماء وأطباء مشهورون ، وانما كان الغالب أن يأتي علم الطب آنئذ من الاسكندرية[٤٥] . هذه الفترات التي وصفها سارتون كانت كلها سابقة لظهور الاسلام وتوسع دولته ، وهذا الجمود والتدهور في دراسة العلوم والتأليف فيها رافقه تبني الدولة للمسيحية والاعتراف بها واتخاذها ديناً رسمياً ، ووضعها موضع السيادة ، وقد انصرفت المسيحية الى الاهتمام بالعقائد الدينية ودراستها والكتابة في توضيحها وتثبيتها ، وقادها ذلك الى قلة الاهتمام بدراسة العلوم الصرفة والى محاربة الدراسات التي قد تنافي الافكار المسيحية أو تشكك فيها أو تعطل نشرها ، وكان تحاملهم على كتب الفلسفة شديداً ، فيروى القفطي ان المأمون طلب من ملك الروم كتب الحكمة من كلام ارسطوطاليس وأراد ملك الروم اجابة طلبه « فلم يجد لها ببلاده أثراً ، فاغتم لذلك » وأخبره أحد الرهبان انه لما تقررت المسيحية في تلك البـلاد أيـام قسطنطين « جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس » ، وانها وضعت في أحد

(٤٠) مقدمة في تاريخ العلم ٢٨٨/١ .

(٤١) كذلك ٢٩٨/١ .

(٤٢) كذلك ٤١٤/١ .

(٤٣) كذلك ٤٤١/١ .

(٤٤) كذلك ٤٦٠/١ .

(٤٥) « من الاسكندرية الى بغداد » ترجمة عبدالرحمن بدوي في « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ٤٣ .

المعابد القديمة واغلقت ، وان الراهب عندما علم بطلب المأمون قال لملك الروم « سَيِّرها فانك تثاب عليه ، فانها ما دخلت في ملة الا وزلزلت قواعدها » ، فأرسل ملك الروم منها خمسة أحمال وكان « بعضها تاماً وبعضها ناقصاً ، فالناقص فيها ناقص الى اليوم ، لم يجد أحد تمامه » وأمر المأمون بترجمتها « ثم تنبه الناس بعد ذلك على تطلبها بعد المأمون ، وتحيلوا الى ان حصلوا منها الجملة الكثيرة »(٤٦) .

ان هذا الكلام الذي يدور حول كتب الفلسفة ويظهر فقدانها في دولة الروم ينطبق فيما يظهر على معظم كتب العلوم الاخرى وعلى الوضع في كافة أرجاء الدولة ؛ ويظهر هذا من الارساليات التي أوفدها الخلفاء العباسيون للبحث عن الكتب والحصول عليها ، وسخاء البذل في ذلك ، فلو كانت هذه الكتب موجودة في أقاليم الدولة الاسلامية لما لجأوا الى ارسال الارساليات والسخاء في بذلها . وهي تظهر الاختلاف الاساسي بين نظرة الروم ونظرة العرب للفكر ، فان الروم عندما تبنوا المسيحية عملوا على تضييق الفكر وحصره في ميدان واحد ، أما العرب فانهم عملوا على اطلاق الفكر في مختلف الميادين ، وعلى تشجيع انمائه وازدهاره .

روى الفارابي وهو يتحدث عن كتب ارسطو ان مجلس التعليم انتقل من أثينا الى الاسكندرية ، ثم جعله اغسطس في مركزين : روما والاسكندرية، ثم رده ثيودوسيوس الى الاسكندرية « ثم نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الاسكندرية الى انطاكية ، ثم انتقل الى حرّان في أيام المتوكل ، وانتهى ذلك في أيام المعتضد الى قويرى ويوحنا بن جيلان وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المعتضد ، وابراهيم المروزي ، ثم الى محمد بن كرنيب ،

(٤٦) القفطي ٢٠٩ — ٣٠ ، خزانة الادب ٢/٢٣٢ ، صون المنطق والكلام ٦—٩ .

والى بشر بن متى بن يونس تلميذي ابراهيم المروزي » ثم انتقل الى أبي نصر الفارابي[٤٧] ، وهذا الكلام عن كتب الاسكندر ربما كان ينطبق على الطب أيضاً ، فمن المعروف ان الاسكندرية هي المدينة الوحيدة التي ذكر فيها تدريس الطب عند ظهور الاسلام ، وانه درس ونبه فيها عدد من الأطباء قبيل الاسلام وعند ظهوره[٤٨] ؛ ومما يؤيد هذا ان عبدالملك بن ابجر كان من كبار علماء الاسكندرية ، وانه أسهم في هذا النقل .

ان هذا يظهر ان أقاليم الدولة الاسلامية عند تكونها لم يكن فيها الا الاسكندرية تعنى بالدراسات العلمية باللغة اليونانية ؛ ولابد ان هذا المركز كان قائماً على عدد محدود من العلماء ، وانه انتهى بنقلهم الى انطاكية ؛ ولابد ان مرجع بعض ذلك هو ان النشاط الفكري كان قائماً على التدريس والتلقين واتقان الملخصات و « الجوامع » مما جعله جامداً خلواً من الابداع ؛ ولعل عمر بن عبدالعزيز استهدف من نقله الى انطاكية اثارة النشاط فيه ، اذ انه في مدة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز السنتين برز طبيبان ، وهما عبدالملك بن ابجر واهرن ، قام كل منهم باتتاج كتاب .

(٤٧) التنبيه والاشراف ١٠٥ ، وهو يشير الى انه بحث أسباب ذلك مفصلا في كتابه المفقود « فنون المعارف » ؛ ونقل هذا الكلام بتفصيل أوفى وعبارات فيها بعض الغموض ابن أبي اصيبعة ٦٠٤ ؛ وأشار ابن أبي اصيبعة الى ان عمر بن عبدالعزيز نقل التدريس من الاسكندرية الى انطاكية وحران وتفرق في البلاد (١٧١) .

(٤٨) ابن أبي اصيبعة (١٥١ — ١٦١) وانظر البحث المفصل عن هذه المدرسة في مقال الدكتور ماير هوف عن انتقال العلم من الاسكندرية الى بغداد .

النقــل من الاغريقيــة

تطــور حركــة النقــل

نقل كتب العلم في زمن الامويين :

يقول ابن النديم ان أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة هو الذي تم بأمر خالد بن يزيد بن معاوية ، ويذكر « كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ؛ خطر بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل كتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ، وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة »(٤٩) . ان هذا النص الذي انفرد بذكره ثقة معتمد في تاريخ العلم العربي ولم يشر الى المصدر الذي استقاه منه ، يظهر ان أول نقل تم استجابة لرغبة شخص ، وليس تنفيذاً لسياسة عامة ، وان هذه الرغبة كانت ذاتية ولم تكن بتحريض خارجي « خطر بباله » ؛ وانه كان يهتم بعلم معين ، وليس بكافة العلوم . وقد نعت ابن النديم هذا العلم « الصنعة »(٥٠) واعتمد على من كان ينزل مصر من الفلاسفة ، مما يدل على انها كانت قائمة عندهم ولم يكن من البارعين فيها بالشام ؛ ويظهر هذا النص أيضاً ان العربية كانت قد انتشرت في مصر بين العلماء ، وقد يدل هذا على قدم العربية في مصر .

ويذكر ابن النديم في مكان آخر من كتابه « الذي عنى باخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء .. ويقال انه صح له عمل الصناعة ، وله في ذلك

---

(٤٩) الفهرست ٣٠٣ .
(٥٠) الفهرست ٣٠٣/٤٠٤ .

عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه : كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته الى ابنه في الصنعة »[٥١] .

لم يذكر ابن النديم أو أي مصدر آخر اسم كتاب في الطب أو النجوم نقل الى خالد بن يزيد ولعل الجملة في هذا النص هي تعميم لا يقوم على أساس . غير ان ذكره « الصنعة » في هذا المكان والمكان الآخر الذي ذكرناه أعلاه يوحي بصحته .

وكلمة « الصنعة » كلمة عربية أصيلة ، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى يقرب من العمل الفني « يصنعون » في ١٣ موضعاً ، ووردت بمعنى الصناعة « انما صنعوا كيد ساحر » (طه ٦٩) ، « يصنع الفلك » (هود ٣٧ ، ٣٨ ، المؤمنون ٢٢٧) ، « صنعة لبوس » (الانبياء ٨٠) ، « تتخذون مصانع » (الشعراء ١٢٩) .

غير ان كلمة « الصنعة » اتخذت معنى خاصاً في العلوم ، وقد عرّفها جابر بن حيّان « الصنعة توليد المشابه لما ابرزته الطبيعة على طول السنين »[٥٢] .

ميّز جابر الصنعة عن عدد من العلوم حيث ذكر « ينبغي أن تعلم ان الهندسة والمنطق والموسيقى والحساب والصنعة والتوليدات وعلم جميع السفليات والعلويات ليست معانياً قائمة في النفس ومعانياً يعبر عنها »[٥٣] .

---

(٥١) الفهرست ٤١٩ .
(٥٢) بول كراوس . جابر بن حيان ٢/٩٩ (بالفرنسية) ، نقلا عن البحث ٦٤ .
(٥٣) بول كراوس ٢٥٨ نقلا عن التصريف ٤١ .

خصص ابن النديم المقالة العاشرة ، وهي الاخيرة من كتاب الفهرست لـ « أخبار الكيماويين والصنعويين » فكأنه ميّز الكيمياء عن الصناعة ، غير انه ذكر ما يدل على ان « الصنعة » أعم ، اذ تشمل الكيمياء أيضاً فقال « زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها ان أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي » وذكر « وزعم أبو بكر الرازي وهو محمد بن زكريا انه لا يجوز أن يصح علم الفلسفة ولا يسمى الانسان العالم فيلسوفاً الا ان يصح له علم صناعة الكيمياء »(٥٤) .

وكتب ابن النديم صفحة عنوانها « أسماء كتب ألفها الحكماء في الصنعة وذكرها علماء هذه الصنعة في كتبهم » ذكر فيها أسماء عدد كبير من المؤلفين وأغلب اسمائهم يونانية أو سريانية ، وأقتصر على عناوين كتب من ذكر لهم كتباً بأنها « من الصنعة »(٥٥) دون ان يشير الى ما تشمله . وذكر قائمة « أسماء كتب جابر في الصنعة وعناوينها منوعة لا يمكن الاستنباط منها على ما تدل عليه « الصنعة » .

ويقول في آخر هذه المقالة « ولأهل مصر في هذا الأمر مصنفون ، وأهل الكلام في الصنعة من ثم أخذوها والبرابي المعروفة ، قيل ان أصل الكلام في الصنعة للفرس الاول ، وقيل ان أول من تكلم عليه اليونانيون وقيل الصين »(٥٦) .

ذكر ابن النديم ان « اصطفن القديم » نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها »(٥٧) ؛ ولم يذكر ابن النديم اسماء الكتب التي نقلها

(٥٤) الفهرست ٢١٩ .
(٥٥) الفهرست ٤١٩ — ٤٢٠ .
(٥٦) الفهرست ٢٢٢ .
(٥٧) الفهرست ٤٠٤ . وانظر تفاصيل اوفى من كتاب « خالد بن يزيد » لفاضل خليل ابراهيم .

والاصول التي نقل منها ، علماً بأن أكثر المعنيين بالصنعة الذين ذكرهم ابن النديم هم من أهل مصر حيث تستعمل اليونانية والقبطية • ولم تذكر المصادر أسماء الكتب التي نقلت لخالد بن يزيد سوى ان مخطوطة برلين (٤١٨٨) لكتاب سر الاسرار لبليناس ، في مقدمتها اشارة الى ان الكتاب ترجم لخالد ابن يزيد[٥٨] • ويلاحظ ان كتب الصنعة التي تبحث في تحويل المعادن، والمتصلة بالكيمياء لم تلق انتشاراً ، وظلت مقصورة على نطاق ضيق ، حيث ان مايتعلق منها في الصناعات كان يمارسه عملياً أهل الصناعات ، أما أعمال تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب فان عدم خروجها الى حيز التنفيذ قوى اعتقاد الناس بعدم جدواها العملي وانها ضرب من الخيال أو السحر •

ومما ترجم الى العربية كناش اهرن ، وقد نقل في زمن عمر بن عبدالعزيز[٥٩] ، ولم يذكر ناقله ، وذكر نالينو كتاباً في أحكام النجوم منسوباً الى هرمس الحكيم منه نسخة في مكتبة الامبروسيانا كتب في آخرها كانت ترجمة الكتاب « في ذي القعدة سنة ١٢٥ للهجرة[٦٠] » ولم ترد عن ذلك اشارة في أي كتاب آخر •

ويلاحظ ان ابن النديم ذكر أسماء النقلة من اليونانية ، وكان أول من ذكر اسم اصطفن الذي نقل لخالد بن يزيد ، ثم يتلوه مباشرة « البطريق كان في أيام المنصور ، وأمر بنقل أشياء من الكتب القديمة ، ثم ابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق »[٦١] •

(٥٨) بول كراوس : جابر بن حيان ٢/٢٩٣ •
(٥٩) ابن ابي اصيبعة ٢٣٢ •
(٦٠) تاريخ علم الفلك عند العرب ١٤٣ •
(٦١) الفهرست ٣٠٤ •

اهتمام الخلفاء العباسيين الاوائل بكتب العلم :

أولى الخلفاء العباسيون الاوائل الثقافة عناية خاصة ، فاختاروا لأولادهم مؤدبين من العلماء البارزين باللغة ، وفتحوا أبوابهم للمثقفين والعلماء ، واغدقوا عليهم الهبات . ومع ان هؤلاء الخلفاء وجهوا أكبر قسط من عنايتهم الى ما يتصل بالثقافة العربية الأصيلة من لغة وشعر وأدب وتاريخ ، والى ما يتصل بالدين من فقه وحديث وتفسير . ولم يؤلفوا بأنفسهم كتباً ، ولم يتبنوا اعتناق مذهب أو اتجاه خاصٍ يفرضونه على الناس في أي ميدان فكري ، الا ان اهتمامهم امتد الى العلوم منذ زمن أبي جعفر المنصور . فيقول صاعد عن الخلفاء العباسيين « فكان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور .. فكان رحمه الله مع براعته في الفقه وتقدمه في علم الفلسفة خاصة في علم النجوم كلفاً بها وبأهلها »(٦٢) . ونقل المسعودي عن محمد بن على الخراساني وصفه للخلفاء العباسيين فقال عن أبي جعفر المنصور « كان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم .. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الاعجمية الى العربية ، منها كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس ، وكتاب الارثماطيقي ، وكتاب اقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية، واخرجت للناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها »(٦٣) .

(٦٢) طبقات الامم ٤٨ .
(٦٣) مروج الذهب ٢٢٣/٤ ؛ وانظر « مشاكلة الناس لزمنهم » لأحمد بن اسحاق اليعقوبي ٢٣ . ويلاحظ ان ابن النديم ذكر عدداً من الكتب قال عن كل منها انه « وجدها بنقل قديم » ومن هذه الكتب « كتاب العقل والمعقول » لفرفوريوس (٣١٣) و « طوبيقا » قد يوجد بنقل قديم (٣٠٩) ، وريطوريقا يصاب بنقل قديم رايت بخط احمد بن الطيب هذا الكتاب =

وذكر ابن النديم ان البطريق « كان في أيام المنصور ، وأمر بنقل أشياء من الكتب القديمة[٦٤] » • لم نجد في المصادر ترجمة لهذا البطريق أو معلومات عن حياته ؛ ومن الواضح ان كلمة « البطريق » هي اسم مرتبة من المراتب العالية عند البيزنطيين • وذكرت المصادر بطريقاً اشتهر في زمن أبي جعفر المنصور ، وكان قدم اليه في أوائل سني بغداد ، وبنى في زمن المنصور رحا سميت باسمه في الطرف الجنوبي الغربي من مدينة المنصور المدورة ، وكانت تدر ربحاً كبيراً ، واشتهرت باسمه « رحا البطريق »[٦٥] ، غير ان المصادر لم تشر الى ان البطريق المترجم هو نفس صاحب الرحا •

وذكر ابن النديم ممن لقب بهذا اللقب « ابيون البطريق وأحسبه قبل الاسلام بيسير ، وله من الكتب كتاب العمل بالاصطرلاب المسطح »[٦٦] • وذكر أيضاً ان « أول من سطح الاصطرلاب ابيون البطريق وكانت الآلات تعمل بمدينة حرّان ، ومن ثم نبشت »[٦٧] ، غير ان هذا هو غير المترجم في زمن المنصور •

ذكر ابن أبي أصيبعة ان ابا زكريا ابن البطريق الذي كان في زمن أبي جعفر

=
نحو مائة ورقة بنقل قديم » (٣١٠) ؛ وذكر كتاباً وقع اليه قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون (٩) ؛ ولعل كثيراً منها مما نقل في زمن ابي جعفر أو الرشيد .

(٦٤) الفهرست ٣٠٤ وقد ذكر ابن النديم « يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق القس ممن كان يقرأ عليه كتب الهند وله نقل من اليوناني (٣٤٠) وذكر ان يوحنا بن يوسف الكاتب أحد النقلة ؛ ونقل كتاب افلاطون في آداب الصبيان » (٣٠٥) ولم يذكر زمن حياته .

(٦٥) تاريخ بغداد للخطيب ١/٩١ — ٩٢ .

(٦٦) الفهرست ٣٣٠ .

(٦٧) الفهرست ٤٤٢ .

« كان لطينياً يعرف لغة الروم وكتابتها ، وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة[٦٨]، وذكر ابن النديم ان البطريق « له نقل كثير جيد ، الا انه دون نقل حنين بن اسحاق وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتبها ابقراط وجالينوس ، غير اني لم أجد ذكراً لكتاب ترجمه[٦٩] » . وقد تكون اشارة العبدي الى « كتب قديمة » بالرومية هي التي نقلها البطريق . ويذكر ابن النديم ان البطريق ، أبا يحيى ، نقل الى عمر بن الفرّخان كتاب « الاربعة » لبطليموس[٧٠] .

أما هارون الرشيد فقد أسس بيت الحكمة وجعل لها مُشْرِفين هم سهل بن هارون ، وسلم ، وهريم[٧١] ، وكان فيها ناسخون ذكر منهم علاّن الشعوبي[٧٢] ؛ ومع ان هؤلاء المشرفين والنسّاخ لم يعرف عنهم اهتمام بالعلوم ، الا ان الراجح ان الكتب التي أمر هارون الرشيد بجمعها من بلاد الروم وضعت في بيت الحكمة ؛ ولعل من هذه الكتب كتاب اقليدس الذي ترجمه الحجاج بن يوسف بن مطر ترجمة تسمى « الهارونية »[٧٣] ، التي يظهر من اسمها أنها تمت بأمر الرشيد وبتشجيع منه ، علماً بأن المصادر لم تذكر ان الحجاج كان في بيت الحكمة أو ان الكتاب ترجم فيها . وقد اعيدت ترجمة الكتاب في زمن المأمون .

ونقل الحجاج أيضاً كتاب المجسطي ليحيى بن خالد[٧٤] ، كما نقل كتاب « المرآة » لارسطو[٧٥] .

---

(٦٨) عيون الانباء ٢٨٢ .

(٦٩) الفهرست ٣٠٤ .

(٧٠) الفهرست ٣٣٢ .

(٧١) الفهرست ١٣٤ ، ٣٢٧ .

(٧٢) الفهرست ١١٨ .

(٧٣) الفهرست ٣٢٥ .

(٧٤) الفهرست ٣٢٧ ، وقد كتبت كلامروث عن ترجمته مقالا نشرته في مجلة المستشرقين الالمان (ZDMG) م ٣٥ ص ٢٦٥ — ٢٨١ .

(٧٥) الفهرست ٣١٢ .

ويذكر ابن جلجل « كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً ، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ، ووضعه أميناً على الترجمة ، ووضع له كتاباً حذاقاً يكتبون ، وخدم هارون والأمين والمأمون ، وبقي على ذلك الى أيام المتوكل »(٧٦) ؛ وقد انفرد ابن جلجل بهذا الخبر ، ولم تذكر المصادر أسماء كتب أشرف على ترجمتها ابن ماسويه .

ان الاهتمام بالعلم ورعاية العلماء في زمن الرشيد امتد الى عدد من أفراد الأسرة العباسية وذوي المكانة من رجال الادارة وغيرهم ممن لم يعرف عنهم بروز في العلم ، ولكن رعايتهم للنقل تظهر عنايتهم بنشر العلم بالعربية . فيروي ابن الداية « كان لام جعفر بنت أبي الفضل في قصر عيسى الذي كانت تسكنه مجلس لا يجلس فيه الا الحسّاب والمتطببون ، وكانت لاتشتكي علة الى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصناعتين ويكون مقامهم في ذلك المجلس الى وقت جلوسها ، فكانت تجلس لهم في أحد موضعين : اما عند الشباك الذي على الدكان الكبير المحاذي للشباك وللباب الاول من أبواب الدار ، أو عند الباب الصغير المحاذي لمسجد الدار ، فكان الحسّاب والمتطببون يجلسون من خارج الموضع الذي تجلس فيه ، ثم تشتكي ما تجد ، فيتناظر المتطببون فيما بينهم حتى يجتمعوا على العلة والعلاج ، فاذا كان بينهم اختلاف دخل الحسّاب بينهم ، وقالوا بتصديق المصيب عندهم ، ثم تسأل الحسّاب عن اختيار وقت لذلك العلاج فان اجتمعوا على وقت والا نظر المتطببون فيما بين الحسّاب وحكموا لالزامهم القياس .. فكان ممن يختلف اليها من الحسّاب الحسن بن محمد الطوسي التميمي المعروف بالابحّ ، وعمر بن

(٧٦) طبقات الاطباء ٦٥ ؛ ونقل هذا الخبر ابن ابي اصيبعة ٢٤٦ .

الفرخان الطبري ، وشعيب اليهودي[٧٧] غير ان المصادر لم تذكر كتاباً ترجم لها .

ويمكن ان نعد من زمن الرشيد الكتب التي نقلت للبرامكة الذين كان عز مجدهم في زمن الرشيد ، ثم ازيحوا في زمنه . ومن النقلة لهم ابن ناعمة الذي ذكر ابن النديم انه « كان في أيام البرامكة[٧٨] » ؛ وابن ناعمة هو عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعسي ؛ وتدل نسبته الى ناعمة ، انه من العشيرة اليمانية المسماة بهذا الاسم ؛ وكان معنياً بالفلسفة ، فنقل كتاب سوفسطيقا ، والنصف الثاني من السماع الطبيعي لارسطو وقد أصلح ابراهيم بن بكوش العشاري فيما بعد ما نقله ابن ناعمة[٧٩] .

ومن المترجمين في زمن الرشيد سلام والابرش اللذان ذكر ابن النديم انهما من النقلة القدماء من أيام البرامكة ، ويوجد من نقلهما « السماع الطبيعي »[٨٠] .

وذكر بروكلمان ان اسطاث ترجم ليحيى البرمكي كتاب « جيوبونيكا » لباسوس[٨١] . ولم تذكر الكتب هذا ، وانما ذكرت اسطاث مترجماً للكندي[٨٢] .

وكانت ليحيى بن خالد عناية خاصة بشؤون الفكر ، فقد ذكره ابن النديم « مع الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة[٨٣] ، وكانت له مجالس كلام ونظر ، والقيم عليها هشام بن الحكم[٨٤] ، ومن المناظرات المشهورة التي

---

(٧٧) عيون الانباء ١٩٢ .
(٧٨) الفهرست ٣٠٤ .
(٧٩) الفهرست ٣١٠ .
(٨٠) الفهرست ٣١٤ .
(٨١) بروكلمان ١٧٩/٣ .
(٨٢) اخبار الحكماء ٤٢ .
(٨٣) الفهرست ٤١٩ .
(٨٤) الفهرست ٢٢٣ .

عقدها مناظرة الكسائي والاخفش لسيبويه[٨٥] . وقد ذكرنا اهتمامه بعلوم الهند ، وامتد اهتمامه الى علوم الاغريق ؛ ويذكر ابن النديم انه «أول من عني بتفسير المجسطي واخراجه الى العربية[٨٦] ، وعمل له أبو علي يحيى بن غالب، وهو تلميذ ماشاءالله المنجم ، كتاب المنشور »[٨٧] .

أما المأمون فان محمد بن علي العبدي ذكر عنه انه « كان في بدء أمره ـ لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ـ يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك وغيره ، واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم العراق انصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد .. »[٨٨] . ويتبين من هذا الكلام اهتمام المأمون عندما كان في خراسان باهتمامات الساسانيين ، ودراسة الفلك والتنجيم ، ولعل محمد بن علي قصد من « الكتب القديمة » التي قرأها المأمون في خراسان كتب الفرس . وانه عندما عاد الى بغداد انصرف عن ذلك الى الاهتمام بعلم الكلام. ويذكر ابن النديم ان المأمون كان أعلم الخلفاء بالفقه والكلام « وان له فيما يقال كتابين هما مناقب الخلفاء الاولين ، ورسالة في اعلام النبوة[٨٩] ؛ ولم يذكر اهتمامه بالعلوم الطبيعية .

غير ان صاعد يذكر ان المأمون عني بالفكر الاغريقي ، اذ يقول انه لما أفضت الخلافة الى المأمون « تمم ما بدأ به المنصور ، فأقبل على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة ، وقوة نفسه

(٨٥) الفهرست ٥٧ .
(٨٦) الفهرست ٣٢٧ .
(٨٧) الفهرست ٣٣٥ .
(٨٨) مروج الذهب ٢٢٧/٤ .
(٨٩) الفهرست ١٤٦ .

الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن »(٩٠) .

وذكر ابن النديم ان المأمون « كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ مايختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم ، وأجاب الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلم صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل ، وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم ، وأحضر المأمون أيضاً حنين بن اسحاق وكان فتي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره ، فامتثل أمره ، ومما يحكى عنه ان المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل(٩١) .

ان الاخبار المروية عن المأمون تشير الى انه عندما كان في مرو كان يهتم بما تعنى به الثقافة الساسانية من النظر في النجوم ، وانه عندما عاد الى بغداد في سنة ٢٠٤ هـ أظهر اهتمامه بالفقه وعلم الكلام ؛ ولم يرد ذكر لاهتمامه في

(٩٠) طبقات الأمم ٤٨ ؛ وانظر القفطي ٣١ ، ابن النديم ٣٠٤ .
ويجدر أن نشير الى اهتمامه برصد محيط الارض (القفطي ٢٧٠ ؛ القلقشندي مآثر الانافة ٢٠٩/١ .
(٩١) الفهرست ٣٠٤ ؛ وقد روى ابن أبي اصيبعة هذا النص عن يحيى بن عدي : عيون الانباء ٢٦٠ .

العلوم الصرفة الا ما ذكر من أمره برصد محيط الارض وما يتصل به من علم الفلك والزيج •

ويلاحظ ان حنين بن اسحاق كان حدثاً في زمن خلافة المأمون ، وانه لم يذكر في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » كتاباً نقله للمأمون ، مما يدل على انه نقل كتب جالينوس بعد المأمون ؛ وربما نقل في زمن المأمون كتب ارسطو فقط التي ذكر ابن النديم انه نقلها الى العربية •

ويبدو ان اهتمام المأمون كان منصباً على جمع الكتب أكثر منه على انجاز نقلها الى العربية ، أي انه لم يقم وانما مهد لقيام حركة النقل الكبرى التي ازدهرت بعد حياته •

وفي زمن المأمون عاش رجال ذكرت المصادر عنايتهم بالنقل ورعايتهم للنقلة وبذل الاموال في ذلك ، وقد امتدت حياتهم الى ما بعد حياة المأمون ، ولذلك يصعب الجزم بأن ما تم من النقل برعايتهم حدث في زمن المأمون أم بعده • ومن هؤلاء الرجال الحسن بن سهل الذي ولى بغداد بعد مقتل الأمين عندما كان المأمون مقيماً بخراسان ، وكان من الكتاب المترسلين الذين دونت رسائلهم[٩٢] ، ومن الكتاب الشعراء[٩٣] ، وقرب اليه عدداً من الكتاب[٩٤] ، وأهل العلوم ، وكان من جملته يحيى بن البطريق[٩٥] الذي نقل كتاب طيماوس لأفلاطون[٩٦] ونقل كتاب الحيوان لارسطو[٩٧] ، وعمل جوامع كتاب علم النفس له[٩٨] ، كما نقل كتاب الترياق لجالينوس[٩٩] •

(٩٢) الفهرست ١٣٥ .
(٩٣) الفهرست ١٩١ .
(٩٤) انظر الفهرست ٥٢ ، ٧٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ١٣٦ ١٣٣ .
(٩٥) الفهرست ٣٠٤ .
(٩٦) الفهرست ٣٠٧ .
(٩٧) الفهرست ٣١٢ .
(٩٨) الفهرست ٣٣١/٣٠٤ .
(٩٩) الفهرست ١٩٠ .

ومن رعى النقل وشجع عليه في هذه المدة اسحاق بن سليمان بن علي وهو من رجال الاسرة العباسية ، وكان قد ولي البصرة ثم مكة في زمن هارون الرشيد(١٠٠) ، ثم استقر ببغداد ، ورعى النقل الى العربية من مختلف اللغات فكان من جملته منكه الهندي « ينقل من الهندية الى العربية »(١٠١) وفسّر له كتاب « أسماء عقاقير الهند »(١٠٢) ؛ كما كان داديشوع يفسر له من السريانية الى العربية(١٠٣) ، وذكر حنين في كتاب « ماترجم من كتب جالينوس » انه نقل لاسحاق بن سليمان كتاب المزاج ، وكتاب تدبير الملطف ، وكتاب في ان الطبيب الفاضل فيلسوف ؛ وتظهر عناوينها انها أقرب الى الفلسفة والثقافة العامة منها الى صميم الطب .

ومن أبرز من عني بنقل كتب العلوم ورعاية النقلة بنو موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن ، فيذكر ابن النديم انهم « ممن عني باخراج الكتب من بلد الروم .. وبذلوا الرغائب ، وانفذوا حنين بن اسحاق وغيره الى بلد الروم فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقي والطب ، وكان قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئاً كثيراً فنقله ونقل لهم »(١٠٤) ، ويذكر ابن النديم انهم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت ابن قرة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة(١٠٥) .

ذكر حنين في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » ثلاثين من كتب جالينوس نقلت لمحمد بن موسى ، منها تسعة عشر نقلها حنين ، وثمانية نقلها

(١٠٠) الطبري ٣/٣٧٨ ، ٦٠٣ ، ٧٤٠ .
(١٠١) الفهرست ٣٠٥ .
(١٠٢) الفهرست ٣٦٠ .
(١٠٣) الفهرست ٣٠٥ .
(١٠٤) الفهرست ٣٠٤ .
(١٠٥) الفهرست ٣٠٤ ، ٣٣١ ؛ عيون الانباء ٢٦٢ .

حبيش ، وثلاثة نقلها اصطيفن •

ونقل لاحمد بن موسى خمسة عشر كتاباً من كتب جالينوس ، منها تسعة نقلها بنفسه ، وستة نقلها حبيش ، وواحد نقله ابن الصلت •

وممن ذكر حنين في كتاب « ما ترجم » من رعاة النقل علي بن يحيى الذي نقل له أربعة من كتب جالينوس ، كما نقل له حبيش منها كتاباً •
وذكر حنين في ذلك الكتاب انه نقل لاسحاق بن ابراهيم الطاهري ، ولابراهيم بن محمد ، ولاحمد بن محمد بن المدبر ، ولمحمد بن عبدالملك الزيات •

وضع ابن اصيبعة باباً عنونه « الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم خارجاً عن الخلفاء : فمنهم شبر يشوع بن قطرب من اهل جنديسابور ، كان يريد السرياني اكثر من العربي وهو احد الحشوز ، ومحمد بن موسى المنجم ، وعلى ابن يحيى المعروف بابن المنجم ، وثادرس الاسقف ، ومحمد بن موسى بن عبدالملك ، وعيسى بن يونس الكاتب ، وعلي المعروف بالفيومي ، واحمد بن محمد المعروف بابن المدبر ، وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب ، وعبدالله ابن اسحاق ، ومحمد بن عبدالملك الزيات كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر الف دينار ، ونقل باسمه كتب عدة •

وكان ايضاً ممن نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من اكابر الاطباء ، مثل يوحنا بن ماسويه ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وبختيشوع ابن جبرائيل بن بختيشوع ، وداوود بن سرابيون ، وسلمويه بن بنان ، واليسع ، واسرائيل بن زكريا الطيفوري ، وحبيش بن الحسن »[١٠٦] •

---

(١٠٦) عيون الانباء ٢٨٣ — ٤ •

النقـــلة والترجمـــون

اورد ابن النديم قائمة باسماء النقلة من غير ان يذكر اللغة التي نقلـوا منها ، وذكر ايضاً قائمتين باسماء نقلة ذكر ان احداها للنقلة من اللسان الفارسي والاخرى من اللسان الهندي ، مما يدل على ان القائمة الاولى تشـمل النقلة من السريانية واليونانية ، واشار في قائمته الى اسماء من كان النقلة ينقلون اليهم ، مما يعين على تحديد تقريبي لأزمنة انجاز النقل .

واورد ابن ابي اصيبعة قائمة عنوانها « الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي من أول من ابتدأ في نقل كتب الطب الى اللسان العربي » (١٠٨) ؛ وهذا العنوان يشـير الى ان قائمته معنية بنقل كتب الطب بالدرجة الاولى، وانها مقصورة على النقل من اليونانية ؛ ويظهر التدقيق في دراسة قائمته انها شملت النقل من السريانية ايضاً . وذكر ابن ابي اصيبعة معلومات عن بعض النقلة تساعد على معرفة زمن ظهورهم ، غير انه من حيث العموم لم يراع الترتيب الزمني في تسلسل النقلة في قائمته .

يبلغ عدد النقلة الذين ذكرهم كل من ابن النديم وابن ابي اصيبعة اربعة واربعين ؛ وقد اتفقا في ذكر واحد وعشرين اسماً ، واختلفا في ثلاثة وعشرين ، وابرز فرق بينهما هو ان ابن ابي اصيبعة انفرد بذكر اسماء نقلة من جنديسابور، كما ذكر عدداً من النقلة الذين ظهروا بعد تاريخ تأليف ابن النـديم كتابه ؛ ولعل معظم ما انفرد ابن النديم بذكرهم كانوا نقلة في علوم اخرى غير الطب.

انفرد ابن النديم بذكر كل من ابن ناعمة الحمصي ، والابرش ، وثذارى ، وداريج الراهب ، وهيبا بيثون ، وصليبا ، وثابت بن قمح ، وايوب بن القاسم الرقي ومرلاحي ؛ ولكنه لم يذكر اسم الكتاب الذي ترجمه أي منهم ، وانفرد

(١٠٧) الفهرست ٣٠٤ ــ ٥ .

(١٠٨) عيون الانباء ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

ايضاً بذكر اصطيفن القديم ، وحبيب بن بهريز ، وثيوفيل ، وشملي ، وعيسى ابن نوح ، وقويري ، وايوب بن سمعان ، وباسيل ، وابي عمرو يوحنا بن يوسف ، وداديشوع ، ويحيى بن عدي ، وابراهيم بن عبدالله .

ويلاحظ انه لم يذكر أيضاً ما نقله كل من زروبا بن ماجوه ، وثذاري ، وفثيون ، وابي نصر بن باري بن ايوب ، وجيرون ، وابن رايطة ، وعيسى بن نوح ، وتدورس السنقل .

وانفرد ابن ابي اصيبعة بذكر جورجيس ، وايوب الأبرش ، وما سرجيس ، وعيسى بن ماسرجيس ، وشهدى ، وموسى بن خالد ، وسرجس الرسعيني ، ويوسف الناقل ، وابي يوسف الكاتب ، ويوحنا بن بختيشوع ، وميضا الرهاوي ، ومنصور بن باناس ، وعبديشوع بن بهريز مطران الموصل ، وسغيد ابن يعقوب الدمشقي ، وابراهيم بن بكس ، وعلي بن ابراهيم بن بكس ، وسبر يشوع بن قطرب ، ومحمد بن موسى بن المنجم ، وعلي بن يحيى المنجم ، وتادريس ، ومحمد بن موسى بن عبدالملك ، وعيسى بن يونس ، وعلي الفيومي .

غير ان ابن النديم ذكر في مواضع اخرى من كتابه أسماء نقله لم يذكرهم في قائمته ، ومنهم متى بن يونس (١٠٩) ، وابو علي عيسى بن اسحاق .. ابن الخمار (١١٠) ، وعيسى بن سيد (١١١) ، وما سرجيس (١١٢) . كما ان ابن النديم ذكر في مواضع اخرى من كتابه عدداً ممن انفردت بهم قائمة ابن ابي اصيبعة ، ومنهم سرجس الرسعيني ، ويوحنا بن بختيشوع ، ومنصور بن باناس . وكلهم نقلة طب الى السريانية ، كما انه ميز شهدى عن ابن شهدى ، وميز ايوب الرهاوي عن الابرش .

---

(١٠٩) الفهرست ٣٢٠ .

(١١٠) الفهرست ٣٢٣ .

(١١١) الفهرست ٣٧٢ ، ١٩٨ .

(١١٢) الفهرست ٣٥٢ .

وذكر ابن النديم في مواضع اخرى من كتابه معلومات اضافية عن بعض النقلة : فذكر عن بهريز « ومن حكامهم في الشريعة والفتاوى ابن بهريز ، واسمه عبد يسوع ، وكان اول مطران حران ، ثم صار مطران الموصل وحزه ، وله رسائل وكتب ، فمن ذلك كتاب المرقس يعقوب يعرف ببا دوى (؟) في جواب كتابين ورد منه عليه في الايمان وفيهما ابطال وحدانية القنوم التي يقول بها اليعقوبية والملكية ، وكان ابن بهريز حكمه قريباً من حكمة الاسلام (!) ، وقد نقل من المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً [113] ، كما ذكر انه فسّر للمامون عدة كتب[114] ، وانه ممن كتب مختصراً لباري ارميناس[115] .

وذكر « قينون ، وهو اصح الناقلين نقلاً ، واحسنهم عبارة ولفظاً [116] ولعله هو الذي ذكره في قائمته باسم « فثيون » .

وعن بسيل المطران ذكر ابن النديم انه نقل الكتب الاربعة الاولى من تفسير فرفوريوس [117] .

اما اسطاث فذكر ابن النديم عنه انه نقل كتاب الحروف للكندي[118] ، ونقل كتاب الحقن لسرونوس ، ثم اصلح النقل حنين بن اسحاق[119] ، كما ذكر ان كتاب اوفوقيوس « نقله ثابت واسطاث الى العربي » [120] .

وقال ان شملى نقل المقالة الاولى من كتاب الحروف[121] ، كما نقل الكيموس الى العربي [122] .

وتجدر الاشارة الى ان ابن النديم عني بذكر النقل الى العربية ، ولم يعن

(113) الفهرست ٢٦١ .
(114) الفهرست ٣٠٤ .
(115) الفهرست ٣٠٩ .
(116) الفهرست ٢٣٦ .
(117) الفهرست ٣١١ .
(118) الفهرست ٣١٢ .
(119) الفهرست ٣٥٢ .
(120) الفهرست ٣٢٧ .
(121) الفهرست ٣١٢ .
(122) الفهرست ٣٤٩ .

باستيعاب النقل الى السريانية ، وهذا واضح مما نقله من كتاب « ما ترجم من كتب جالينوس » اذ اقتصر على ذكر من نقل الى العربية ، واغفل ذكر العدد الكبير من النقلة الى السريانية ممن ورد ذكرهم في الكتاب المذكور • كما ان ابن النديم لم يذكر اسماء من نقل معظم الكتب التي ذكرها للمؤلفين باليونانية ، بما في ذلك الكتب الكثيرة لاوريباسيوس في الطب •

ان اسماء النقلة منوّعة ، فبعضها اغريقية ، وبعضها سريانية ، وبعضها عربية ، غير انه لا يصح أخذ هذه التسميات أساساً معتمداً لتصنيف اصولهم ، لان التسميات لم تكن مرتبطة دائماً بالاصول ، فالنصارى وكثير منهم كانوا سرياناً ، كان بعضهم يتخذ اسماء اغريقية كما ان بعضهم تسمى باسماء عربية اسلامية (١٢٣) •

والمدن التي ذكرت نسبة بعض النقلة اليها متعددة ، فمن بلاد الشام نسب الى حمص ابن ناعمة عبدالمسيح بن عبدالله الناعمي ، وزروبا بن ماجوه الناعمي (وناعمة عشيرة يمانية) وهلال بن ابي هلال •

ومن دمشق ابو عثمان عيسى بن يعتوب ، وعيسى بن يحيى •

ومن بعلبك قسطا بن لوقا •

ومن بلاد الجزيرة نسب الى حران ثابت بن سنان ، وابنه سنان ، وثابت ابن ابراهيم •

ونسب الى الرها ايوب وميضا •

ونسب الى الرقة ايوب بن القاسم •

ومن العراق نسب الى الحيرة حنين بن اسحاق ، وابنه اسحاق ، وابن

(١٢٣) الجاحظ : في الرد على النصارى ١٨ •

اخته حبيش ولم ندخل من كلامنا آل بختيشوع والمتصلين بهم ممن ينسبون الى جنديسابور ، اذ انهم كانوا معنيين بالسريانية ، ويلاحظ ان كثيرا منهم منسوبون الى مدن بلاد الشام التي كانت اللغة اليونانية مستعملة فيها ، غير انه ينبغي عدم المبالغة في أهمية معرفة اصول النقلة ودلالاتها ، فالكفاءة في النقل تعتمد على قدرة الفرد الناقل التي تتوقف بدورها على حماسه وعلى نشأته وتدربه الذي يرجع الى ظروف محددة اكثر مما يرجع الى اهل البلد الذي ينتمي اليه .

وتتوقف مدة انجاز نقل اي كتاب على حجمه وعلى كفاءة الناقل وما يكرسه من وقت لانجازه ، والراجح ان الكتب الصغيرة الحجم لم تتطلب وقتاً طويلاً ، حتى اذا تطلب الامر مراجعة للترجمة كالذي كان يفعله حنين في كثير مما ينقله من كان يعمل معه .

ان الكتب التي تذكر في نسختها تاريخ نقلها قليلة جداً ؛ غير انه يمكن استنتاج هذا التاريخ بصورة تقريبية من معرفة تاريخ وفيات النقلة او من رعى تلك الترجمة

فاصطفين القديم نقل لخالد بن يزيد بن معاوية ، اي انه عاش في صدر الدولة الاموية .

والبطريق نقل للمنصور ، اي انه عاش مطلع زمن الخلافة العباسية .

ونقل كل من سلام والابرش ، واسطاث ليحيى بن خالد بن برمك ، اي في زمن الرشيد .

ونقل الحجاج بن مطر ، وحبيب بن بهريز للمأمون .

ونقل يحيى بن البطريق للحسن بن سهل .

ونقل ايوب وسمعان لطاهر بن الحسين ، ولمحمد بن خالد بن برمك .

كتب العلم الاغريقية المنقولة الى العربيــة

كتب الهندسة :

كانت الهندسة من أوائل العلوم التي نقلت الى العربية ، وأهم كتاب اغريقي فيها هو كتاب « اصطروشيا » أو « اصول الهندسة » ، وقد أولاه الاغريق عناية كبيرة ، وشرح بعض أجزائه عدد من الاغريق ذكر منهم ابن النديم ابسقلاوس(١) ، وسنبليقوس الزفني(٢) ، وبلس(٣) ، وايرن(٤) .

نقل كتاب « اصول الهندسة الى العربية عدة مرات ذكر منها ابن النديم أربعة يقول :

١ ــ نقل الحجاج بن مطر في زمن هارون الرشيد ، ثم أعاد نقله وأصلحه في زمن المأمون ، ويسمى النقل الاول « الهاروني » والنقــل الثــاني « المأموني » .

٢ ــ ونقله أيضاً اسحاق بن حنين وأصلح نقله ثابت بن قرة .

٣ ــ ونقله أيضاً أبو عثمان الدمشقي .

٤ ــ ونقله أيضاً قسطا بن لوقا »(٥) .

وكتب عدد من علماء العرب شروحاً لكتاب اقليدس ذكر منها ابن النديم ستة عشر شرحاً كتبها كل من الفضل بن حاتم النيريزي ، وأبو يوسف الرازي ، والكرابيسي ، والعباس بن سعيد الجوهري ، والماهاني ، وأبو جعفر الخازن ، وأبو الوفا البوزجاني ، وابن ناهويه الارجاني ، وأبو القاسم الانطاكي ، وسند بن علــي ، وأبو الحســين بن كرنيب ، وأبو ســهل ويجــن ،

---

(١) الفهرست ٣٢٦ .

(٢) الفهرست ٣٢٨ .

(٣) الفهرست ٣٢٨ .

(٤) الفهرست ٣٢٥ ، ٣٢٨ .

(٥) الفهرست ٣٢٥ .

والفارابي ، واحمد بن الحسين الاهوازي ، ونظيف القس[٦] .

وألف عدد من علماء العرب كتباً عنها ، ذكر ابن النديم منها « أغراض كتاب اقليدس » لابراهيم بن سند[٧] ، و « المدخل الى كتاب اقليدس » لثابت بن قرة[٨] ، و « شكوك كتاب اقليدس » لقسطا بن لوقا[٩] ، و « شرح المشكل من كتاب اقليدس » للكوهي[١٠] ، و « أغراض كتاب اقليدس » و « اصلاح كتاب اقليدس » و « اصلاح المقالة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من كتاب اقليدس » للكندي[١١] ، و « مصادرات اقليدس » و « حل مشكل مصادرات اقليدس » لابن الهيثم[١٢] .

وفي القرن الثالث الهجري نقل العرب عدداً من الكتب الاغريقية في الهندسة ، وكان ابرز المعنيين بها بنو موسى بن شاكر والكندي ، وابرز نقلتها ثابت بن قرة وأولاده ، وذكر ابن النديم مما نقل منها « اصول الهندسة » لافلاطون[١٣] ؛ و « اصول الهندسة » لمنالاوس[١٤] ؛ و « الشكل الهندسي الذي بيّن جالينوس أمره » لمحمد بن موسى[١٥] .

وفي الاشكال الهندسية نقل العرب شيئاً يسيراً من « كتاب المثلث » لمنالاوس[١٦] ؛ وعرف العرب « كتاب الدوائر والدواليب » لهرقل النجار[١٧] ؛ و « الدوائر المماسة » لابولونيوس[١٨] ، « والدوائر المماسة » و « تربيع الدائرة » و « تسبيع الدائرة » لارخميدس[١٩] .

(٦) انظر الفهرست ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ — ٣٤٢ وانظر القفطي ٧٩ ، ٢٣٤ ، ٢٩٩ .

(٧) الفهرست ٣٣١ .

(٨) القفطي ١١٥ .

(٩) الفهرست ٣٥٣ .

(١٠) الفهرست ٣٤٠ .

(١١) الفهرست ٣١٧ .

(١٢) القفطي ١٦٧ .

(١٣) الفهرست ٣٠٧ .

(١٤) الفهرست ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

(١٥) الفهرست ٣٣١ .

(١٦) الفهرست ٣٢٧ .

(١٧) الفهرست ٣٢٩ ، ٢٤٧ .

(١٨) الفهرست ٣٢٦ .

(١٩) الفهرست ٣٢٦ .

وفي الأكر نقل العرب أربعة كتب هي « كتاب الأكر » لثيودوسيوس ، قام بنقله قسطا بن لوقا بأمر محمد بن المعتصم وأكمله مترجم آخر ، وأصلحه ثابت بن قرة[٢٠] ، وكتاب « الكرة والاسطوانة » لارشميدس ، أصلحه ثابت بن قرة[٢١] ؛ و « كتاب الكرة المتحركة » لاوطولوقس أصلحه الكندي[٢٢] ؛ و « الاشكال الكرية » لمنالاوس[٢٣] ؛ و « تفسير كتاب بطليموس في تسطيح الكرة » لبلس الرومي نقله ثابت بن قرة[٢٤] .

وفي المخروطات نقل كتابان بهذا العنوان لابولونيوس[٢٥] ، ولارخميدس[٢٦] ، وقد نقلها ثابت بن قرة[٢٦أ] .

مؤلفات بطليموس في الفلك والجغرافية :

قام العرب في أوائل زمن الخلافة العباسية بنقل كتب بطليموس وأبرزها كتاب المجسطي الذي يقول عنه القفطي « لا يعرف كتاب في علم من العلوم قديمها وحديثها يشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها كتاب « المجسطي » هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم ، والثاني كتاب ارسطو في علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي » ويقول أيضاً « وما أعلم أحداً بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطي ، ولا تعاطى معارضته ، بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين كالفضل بن حاتم النيريزي ، وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتاني وأبي الريحان البيروني ، وكذلك كوشيار بن لبان الجيلي »[٢٧] .

(٢٠) الفهرست ٣٩٨ .
(٢١) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٢) الفهرست ٣٢٨ .
(٢٣) الفهرست ٣٢٧ .
(٢٤) الفهرست ٣٢٨ .
(٢٥) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٦) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٦أ) الفهرست : ٣٣٢ .
(٢٧) القفطي ٩٦ .

وذكر ابن النديم ان للمجسطي « ثلاث عشرة مقالة ، وأول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ، ففسره جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض ذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحه ؛ وقد قيل ان الحجاج بن مطر نقله أيضاً ، فأما الذي عمله النيريزي وصلح ثابت الكتاب كله بالنقل القديم ، ونقل اسحاق هذا الكتاب وأصلحه ثابت نقلاً غير مرضٍ ، لأن اصلاحه الأول أجود »(٢٨) .

ولبطليموس « كتاب الاربعة » وقد نقله البطريق في زمن المنصور وفسر هذا النقل عمر بن الفرخان ، كما نقله ابراهيم بن الصلت(٢٩) .

وله أيضاً « كتاب الجغرافيا » وقد نقله الى العربية الكندي وثابت بن قرة(٣٠) .

نقل كتب الطب الاغريقية :

كان الطب الميدان الرئيس الثاني الذي نقل العرب كتبه من الاغريقية وأقدم المؤلفين الذين نقل العرب كتبهم هو بقراط الاول الذي ألف كتابين « الكسر والجبر » و « المفاصل »(٣١) ؛ ثم بقراط الثاني الذي ألف حوالي ثلاثين كتاباً نقل معظمها الى العربية مع شروح كثير منها(٣٢) .

غير ان أبرز من نقل العرب كتبه هو جالينوس الذي له مكانة متميزة ترجع الى كثرة مؤلفاته وتنوعها ، وكثرة ما ترجم الى العربية منها ، وما نقلته الكتب العربية عنها ؛ وقد وضع جالينوس فهرساً لمؤلفاته ، وألف حنين كتاباً

(٢٨) الفهرست ٣٢٧ .
(٢٩) الفهرست ٣٣٢ ، وانظر : نالينو تاريخ علم الفلك ٢١٦ — ٧ .
(٣٠) الفهرست ٣٢٨ . (٣١) الفهرست ٣٥٠ .
(٣٢) عيون الانباء ٥٢ ؛ وانظر : سارتون : تاريخ العلم ٢٢٥/٢ فما بعد .

في « ما ترجم من كتب جالنوس »[٣٣] ولهذين الكتابين فضل معرفتنا الواسعة عن مؤلفات جالينوس .

ألف جالينوس أكثر من مائة وثلاثين كتاباً ورسالة منها كتاب في « كتب بقراط الصحيحة وغير الصحيحة » ، وتفسير لعشرة من كتب بقراط ، كما ألف عما كتبه في الطب والتشريح افلاطون وارسطو واراسستراتس ، وفولوس ؛ وعدداً من الكتب عن حرفة الطب واخلاقيته . بالاضافة الى العدد الكبير من الكتب عن التشريح والعلاج ؛ وظلت كتبه معتمدة في دراسة الطب ؛ وعندما ضعفت دراسة الطب في القرنين الخامس والسادس الميلادي عنى علماء الطب بتلخيصها وألفوا ما يسمى جوامع الاسكندرانيين ، وهي تشمل ستة عشر كتاباً من كتب جالينوس[٣٤] .

نقل سرجيوس الرسعيني (ت ٥٣٦ م) واحداً وعشرين من كتب جالينوس الى السريانية ، غير ان نقله كان رديئاً ، فأعيد نقلها الى السريانية في القرن الثالث الهجري[٣٥] .

ذكر حنين بن اسحاق في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » أسماء قرابة مائة من كتب جالينوس نقلت الى العربية ، نقل منها حنين (٣٤) ، وحبيش (٢٨) ، وعيسى بن يحيى (١٩) ، واصطفن (٧) ، واسحاق بن حنين (٦) وكتاباً واحداً نقله كل من يحيى بن البطريق ، وابراهيم بن الصلت، وشملي ، وثابت بن قرة . ويتبين من هذه الارقام ان حنين بن اسحاق واسرته (حبيش واسحق) ترجموا أكبر عدد من هذه الكتب .

(٣٣) نشر الكتابين برجشتراسر ، وأعاد الدكتور عبدالرحمن بدوي نشر الكتاب الثاني مختصراً في كتابه « دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب » ١٤٧ — ١٨١ .

(٣٤) عيون الانباء ١٥٤ فما بعد .

(٣٥) انظر عن ذلك « ما ترجم من كتب جالينوس » لحنين بن اسحاق .

وذكر حنين في كتابه المذكور أعلاه ما يدل على ان هذه الكتب تم نقلها برعاية عدد من كبار رجال الدولة العباسية ؛ من أبرزهم بنو موسى بن شاكر فقد نُقِل لمحمد بن موسى بن شاكر (٣٩) كتاباً ، نقل منها حنين (١٩) وحبيش (١٨) ونقل لاحمد بن موسى بن شاكر ١٦ كتاباً ، نقل منها حنين (٥) وحبيش (١٩) وكتاب واحد نقله ابراهيم بن الصلت • ونقل لابراهيم ابن محمد بن موسى كتاب واحد •

ونقل لكل من محمد بن عبدالملك الزيات ، واحمد بن المدبر كتاب واحد نقله حنين ؛ وكل هؤلاء من كبار الرجال المقربين الى الخلافة ، ولكن ليس فيهم خليفة ، وهم ممن برزوا بعد زمن المأمون ، أي في زمن المعتصم والواثق ، عندما نقل مقام الخلافة الى سامراء ؛ والراجح أن النقل تم في بغداد ، وليس في سامراء غير انه يصعب تحديد تاريخ دقيق لزمن نقل كل كتاب •

ذكر ابن النديم عدداً من الاطباء الذين ظهروا في بلاد الاغريق قبل الاسلام ، وذكر فؤاد سزكين في الجزء الذي خصصه لتاريخ الطب العربي من كتابه أسماء خمسة وأربعين ممن ظهروا قبل الاسلام ؛ وكثير من هؤلاء الاطباء لم تذكر لهم كتب ، ولم تذكرهم غير الكتب العربية التي لولا ذكرها لهم لانطمس ذكرهم وظلوا مغمورين في المجهول •

لم تذكر الكتب العربية زمن حياة معظم هؤلاء الاطباء ؛ وأشارت الى بعض من ظهر قبل زمن جالينوس وهم ارشيجانس ، وفلّس ، ولكل منهما كتاب واحد ، واقريطن صاحب كتاب الزينة •

وذكرت أسماء أطباء ألف كل منهم كتباً عديدة •

فقد ألف روفس ٤٣ كتاباً كل منها وصف بأنه « مقالة » ما عدا ثلاثة

وصف كل منها بأنه « مقالتان » ؛ لم يذكر ناقلوها أو زمن نقلها •

وألف فيلغريوس خمسة عشر كتاباً ، كل منها مقالة ، لم يذكر ناقلوها الا كتابين نقلهما أبو الحسن الحراني •

وألف اوريباسيوس خمسة كتب نقل ثلاثة منها حنين ، ونقل واحداً اصطيفن بن بسيل ، ومن هذه الكتب اثنان وصف كل منهما بأنه « مقالة » وهي « تشريح الاحشاء » و « الادوية المستعملة » ، أما « كتاب الى ابنه اسطاث » فهو تسع مقالات ، و « كتاب الى ابنه اوثافيس » أربع مقالات •

وذكر للاسكندروس ثلاثة كتب هي « علل العين وعلاجاتها ، ثلاث مقالات » و « الصفات والديدان التي تولد في البطن » ، ووصف ابن النديم انها « بنقل قديم » دون أن يذكر الناقل أو زمن النقل ؛ وذكر له أيضاً كتاب « البرسام » نقل ابن البطريق ؛ ولعل هذه الكتب الثلاثة مما نقل في زمن هرون الرشيد[٣٦] •

وذكر أيضاً ان سورونس له كتاب « الحقن » ، نقل اسطاث واصلاح حنين[٣٧] وديوسقوريدس له « كتاب الحشائش » نقله اصطيفان بن بسيل وأصلحه حنين[٣٨] وبولس له كتاب « الكنائس » سبع مقالات نقله حنين ، وكتاب آخر لم يذكر ناقله • ويتبين من أسماء النقلة انها نقلت بعد زمن المأمون •

وذكر ان كلاً من افلاطون ، وارشيجانس ، وفلس ، له كتاب واحد[٣٩] •

٣ ــ نقل كتب في علوم اخرى :

ونقل العرب كتباً في علوم متعددة ، وأكثر ما نقلوا من كل منها كتاباً

(٣٦) الفهرست ٣٥١ •

(٣٧) الفهرست ٣٥٢ •

(٣٨) الفهرست ٣٥١ •

(٣٩) الفهرست ٣٥١ •

واحداً وقليل منها كتابان . ففي الجبر ذكر ابن النديم كتابين للاغريق لم يذكر مترجم أي منهما :

(١) كتاب صناعة الجبر لابرخس الزفني ، « نقل هذا الكتاب [...] وأصلح أبو الوفاء محمد بن محمد الحاسب هذا الكتاب ، وله أيضاً شرحه وعلله بالبراهين الهندسية(٤٠) .

(٢) كتاب صناعة الجبر لديوفنطس الاسكندراني اليوناني(٤١) .

ويذكر ابن النديم ان ابا الوفا البوزجاني فسّر الكتابين ، وألف « كتاب » البراهين على القضايا التي استعمل ديوفنطس في كتابه وعلى ما استعمله هو من التفسير(٤٢) .

وفي الميكانيك ذكر ابن النديم خمسة كتب نقلها العرب عن الاغريقية .

(١) كتب ايرن : « شيل الاثقال » و « الحيل الروحانية » و « الاشياء المتحركة لذاتها »(٤٣) . وله أيضاً « آلة الزمن البوقي ، الزمر الريحي ، الدواليب ، عوارف الأرغن »(٤٤) .

(٢) مورسطوس « كتاب في الآلات المصوتة المسماة بالارغن البوقي والارغن الزمري » و « كتاب آلة مصوتة تسمع على ستين ميلاً »(٤٥) .

(٣) ساعاطس : « كتاب الجلجل الصياح »(٤٦) .

(٤) هرقل النجار : « كتاب الدوائر والدواليب »(٤٧) .

---

(٤٠) الفهرست ٣٢٩ .
(٤١) الفهرست ٣٢٩ .
(٤٢) الفهرست ٣٤١ .
(٤٣) الفهرست ٣٢٨ ، ٣٤٣ .
(٤٤) الفهرست ٣٤٣ .
(٤٥) الفهرست ٣٢٩ .
(٤٦) الفهرست ٣٦٩ .
(٤٧) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) ارخميدس « آلة ساعات الماء التي ترمى بالبندق »[٤٨] .

وفي المناظر ذكر ابن النديم كتاباً واحداً يونانياً هو كتاب « اختلاف المناظر » لاقليدس[٤٩] .

وفي علم الحيوان نقل العرب كتاب ارسطو وهو « تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ، ويوجد سرياني اجود من العربي .. وله جوامع قديمة .. وقد ابتدأ أبو علي بن زرعة بنقله الى العربي وتصحيحه »[٥٠] . ويذكر ابن النديم في مكان آخر ان في علم الحيوان كتابين أحدهما كتاب الحيوان وقد نقله ابن زرعة من السريانية ، والآخر منافع أعضاء الحيوان بتفسير يحيى النحوي ، وكلاهما من تأليف ارسطو »[٥١] ، وأشار ابن القفطي الى ان لديه نسخة عن نقل ابن زرعة[٥٢] .

وفي علم النبات ذكر ابن النديم كتابين أولهما « كتاب أسباب النبات » لثاوفرسطوس ، نقله ابراهيم بن بكوس ، والذي وجد لبعض المقالة الاولى[٥٣] .

والكتاب الثاني « كتاب النبات لنيقولا الدمشقي » وقد خرج منه مقالات نقله الى العربية اسحاق بن حنين[٥٤] ، ثم نقلت الترجمة العربية الى اللاتينية والعبرية وضاع أصله اليوناني[٥٥] .

وفي الفلاحة ترجم كتاب جيوبونيكا لباسوس ، ترجمه اسطاث ليحيى

(٤٨) الفهرست ٣٤٣ .
(٤٩) الفهرست ٣٢٦ .
(٥٠) الفهرست ٣١٢ .
(٥١) الفهرست ٣٢٣ .
(٥٢) أخبار الحكماء ٤١ .
(٥٣) الفهرست ٣١٢ .
(٥٤) الفهرست ٢١٤ .
(٥٥) سارتون : تاريخ العلم ٣٩٧/٣ .

البرمكي بعنوان « كتاب الفلاحة الرومية » ، ثم ترجمه سرجس ، وطبع في القاهرة[٥٦] .

وذكر ابن النديم ان « بادروغوغياله « كتاب استخراج المياه » وهو ثلاثة أبواب الباب الاول ٣٩ قولاً ، والباب الثاني ٣٦ قولاً ، والباب الثالث ٣٠ قولاً[٥٧] . وكلمة « بادروغوغيا » هي تحريف لكلمة « هيدروغرافيا » وهو اسم العلم وليس اسم المؤلف . ولم تذكر المصادر نقلاً أو اقتباساً منه في العربية[٥٨] .

وفي الموسيقى نقل كتابا « الديموس ، والايقاع لارسطاليس ، وكل منهما مقالة »[٥٩] ؛ ونقل أيضاً كتاب « النغم » لاقليدس ، وكتاب « الموسيقى الكبير » لنيقوماخوس[٦٠] .

ان كثيراً من هذه الكتب صغيرة الحجم ، لا يتجاوز الواحد منها بضع صفحات ، حتى ان ابن النديم وصف عدداً غير قليل منها بأنه « مقالة » ؛ غير ان بعضها كبير الحجم . وأكثر هذه الكتب دون مؤلفوها معلوماتهم دون الاشارة الى مصادر معرفتهم ، وهل هي حصيلة تجاربهم الشخصية أم انها اقتباس من مؤلفات لعلماء سابقين ؛ ولا ريب في ان اغفال ذكر مصادر هذه المؤلفات أثر في ابراز مكانة المؤلفين واحلالهم مكانة مرموقة في تاريخ العلم الذي اختصوا به ؛ وعلى أي حال فانه فيما عدا الطب والهندسة ، فان ميادين العلم التي نقل العرب كتبها الى العربية قليلة ، وعدد الكتب في كل علم محدود جداً ؛ مما يظهر سعة اضافة العرب في ميادين العلوم .

---

(٥٦) انظر عنه نشرة المعهد الفرنسي بالقاهرة م ١٩٤١/١٣ ص ٤٧ — ٥٤ .
(٥٧) الفهرست ٣٢٩ .
(٥٨) نايلينو تاريخ علم الفلك ٦١ .
(٥٩) الفهرست ٣٢٦ .
(٦٠) الفهرست ٣٢٩ .